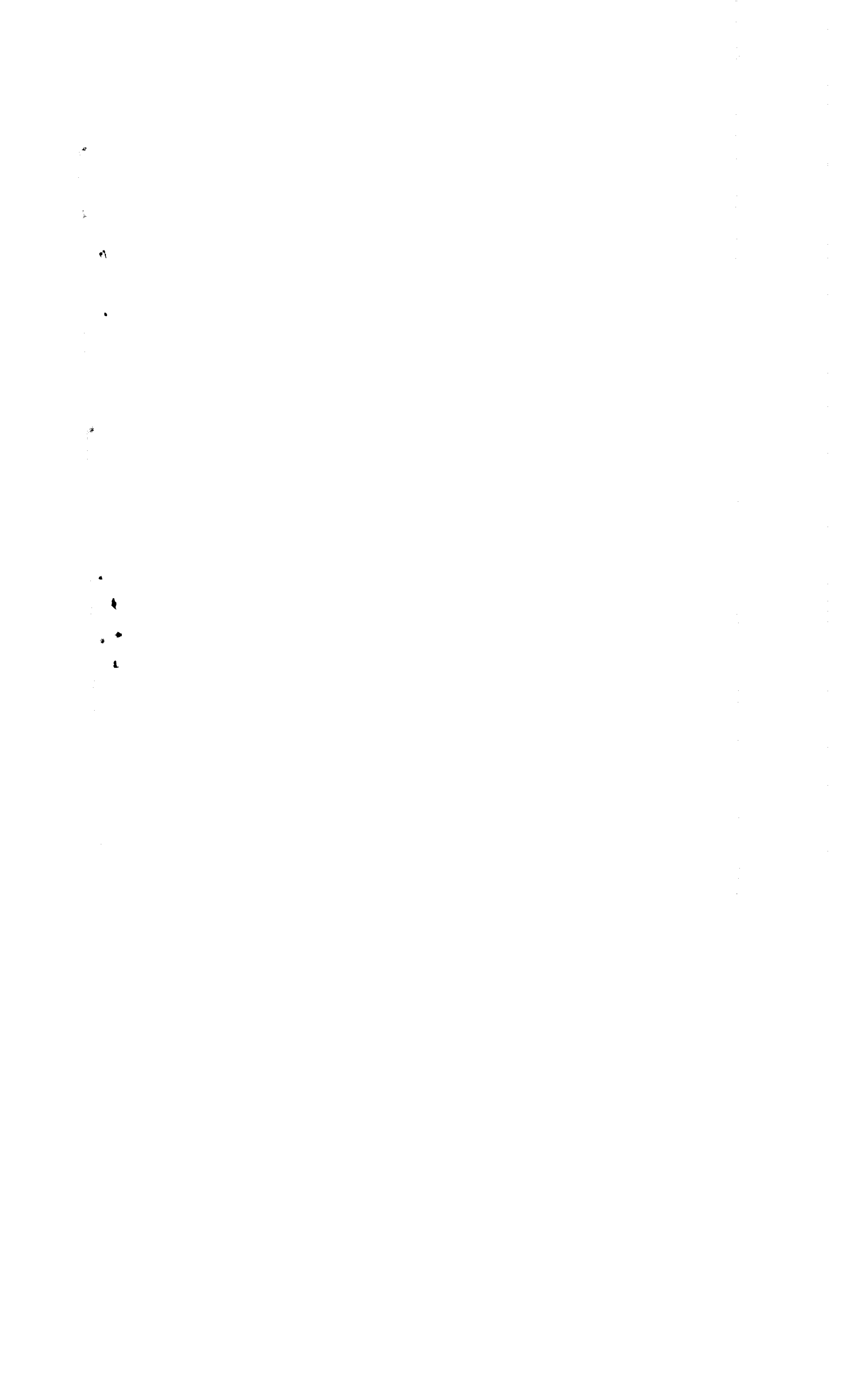
الفارس الآتي إلينا

مجموعة قصصية

بهي الدين عوض

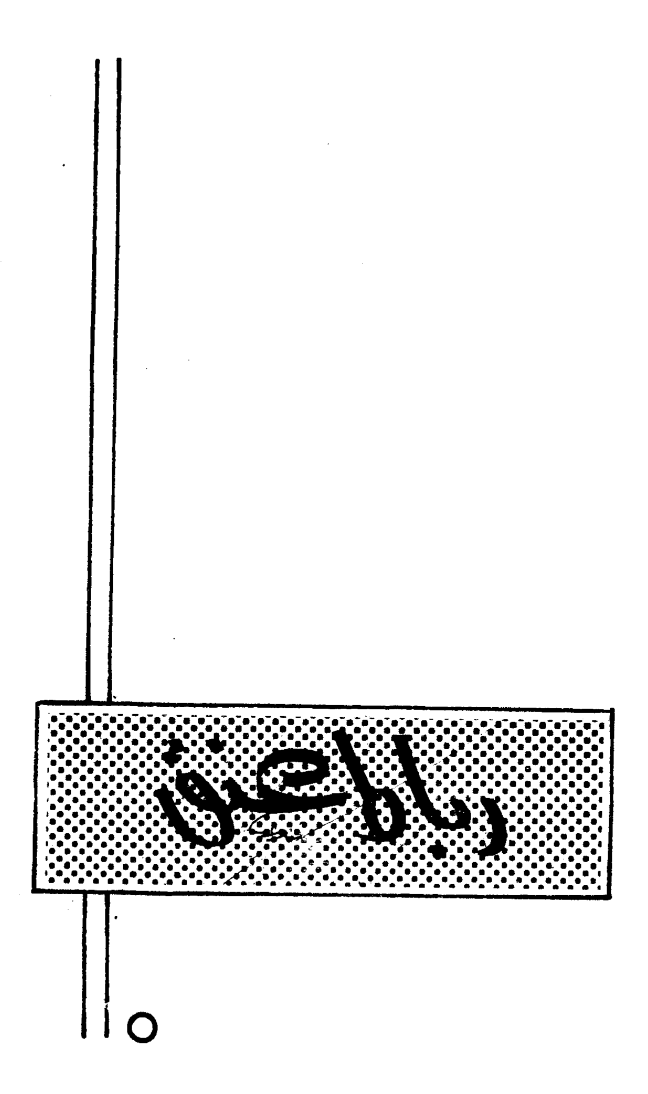


إلى إبنتى

منى وداليا

بسمة الحياة واشراقة الأمل

الغلاف : ريشة حسمت البنا
خطوط : عبد الرحيم القناوي


رباط عشق

كانت فكرة نوال عن الزواج تنحصر فى شخص مستقيم يحب البيت والأولاد .. وظلت هذه الفكره تستحوز على كل تفكيرها ولكنها كانت تشعر بمشقة هذا الأمر فهى إنطوائية لاتحسن التعرف على الناس وينتابها الخجل .. وتحمر وجنتاها كلما تحدث إليها شخص لاتعرفة .

وذات صباح بينما كانت تقرأ الجريدة اليومية .. تعلقت عيناها على خبر ملك شغاف قلبها .. فجعلت تعيد قراءته فى سعادة غامرة

« بشرى لمن يقدم على الزواج .. أعرفى باأنستى خطيبك من النظر إلى رباط عنقه .. أن نظره واحده سريعه ستمكنك من إدراك الجوانب العريضة لهذه الشخصية .. أنظرى فقط إلى رباط عنقه .. وأستعينى بهذه المعلومات التى تقدمها لك مجلة إتحاد التزية فى بريطانيا .. رباط العنق المخطط يدل على الحزم والشده .. والرباط البسيط ذو اللون الموحد يدل على الأستقامة وحب الأسرة والبيت .. » .

أضاءت هذه السطور قلب نوال وأمتطت بها متن أحلامها .. وطفقت تسبح فى فردوس متورد الرؤى وأما الأمر الذى ضاعف من سرورها وغمرها بسعادة دافقة ..

هو هذا الشاب الذى تقابله صباح كل يوم على محطة الأتوبيس الذى يبدى الأهتمام بها من خلال نظراته التى لا تكف عن التحديق فيها .

أخذت نوال تسترجع صورته وتجسم رؤيته فى مخيلتها .. فقالت لنفسها وهى مسحورة العينين .. ومأخوذه اللب « إن هذا الشاب على ماأعتقد يرتدى دائما رباط العنق الذى قرأته .. الرباط البسيط ذو اللون الموحد .. الذى يدل على الأستقامة وحب الأسرة . »

غمرت نوال نوبات من الفرح المجنون الذى يأتى بأفعال غريبة .. فأمست تنتظر أفول الليل وترقب أنفاس الفجر .. على أحر من الجمر.

وفى الصباح أرتدت نوال أبهى ماعندها وتطيبت بعطر فواح وأنطلقت إلى محطة الأتوبيس والفرحة تجيش فى كيانها كله .. وماأن أقتربت منها .. حتى رمقت الشاب .. فتعثرت قدماها وأرتجفت سرائرها .. ثم جعلت تستجمع شملها بصعوبة بالغة وماأن عادت إلى سكونها حتى أنشأت تحدق فى رباط عنق الشاب فبدا لها جليا تحت سبائك شمس الصباح .. الرباط البسيط ذو اللون الموحد ..

ظلت نوال تراقب الشاب وتتابع اربطة عنقة ذات اللون الواحد .. وأخيرا عقدت عزمها على مجاراة الشاب وإنتهاز أقرب الفرص للتعرف عليه وتعرفت عليه .. وتحول التعارف بينهما إلى لقاء ثم لقاءات.

وفى أمسية صيف مقمرة .. نديه النسمات .. حارة المشاعر .. قال مدحت وهو يجالس نوال على ضفاف النيل أنت أجمل من هذا الجمال الذى أراه .. وأروع من ذاك السحر الذى يحيط بنا .. قالت بصوت حالم نشوان :

كنت أنتظرك منذ عمر مديد .. والآن أجد الحلم قد تحقق ... قال فى رغبة محمومة :

- أنت أمل كنت أنتظرة منذ زمان بعيد أسبلت نوال جفنيها وقالت فى دلال :
- لاتبالغ كثيرا يامدحت.

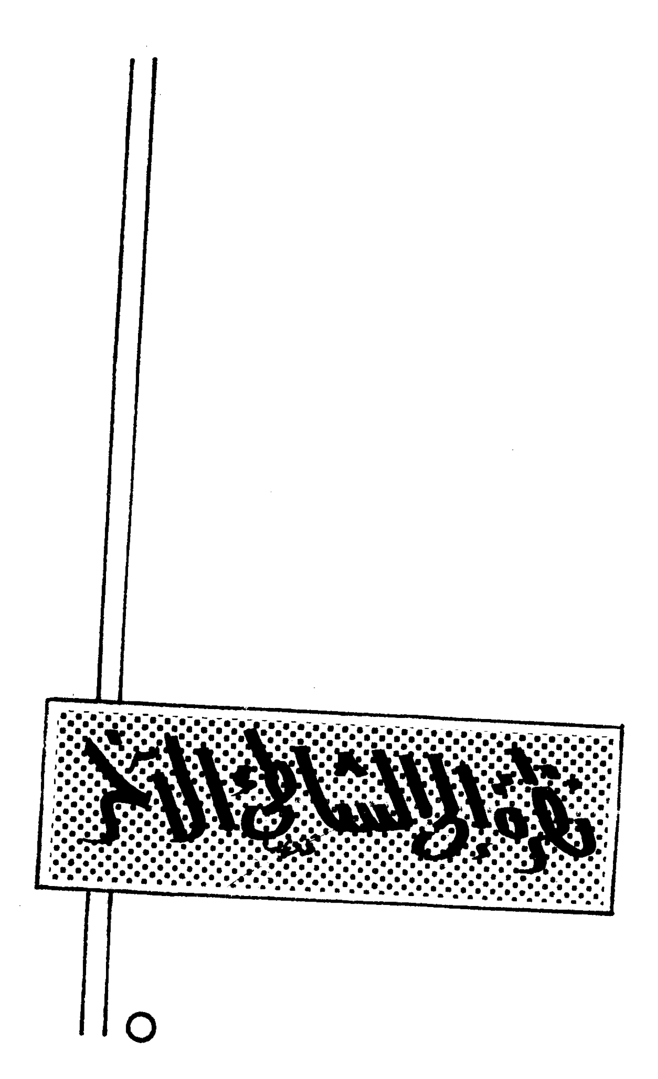
وسكتت هنيهة ثم أستدارت برأسها إلى صدره وراحت تحملق فى رباط عنقه وتداعب بأناملها الرقيقة نسيجة الناعم وتقول فى فرح.

- ذوقك رائع يامدحت .. أنك تقتنى أجمل تشكيلة من الكرافتات ... فأخذ مدحت يضحك ويقهقه ويقول :

ـ كل ماعندى من كرافتات .. ليست من إختيارى فزوجتى هى التى تشتريها لى وهذا هو ذوقها الخاص أما أنا فليس لى إختيار على الاطلاق لهذا النوع من أربطة العنق .

القاهرة : ديسمبر ١٩٦٧




قصة الشاطئ الآخر

هبط المساء وترامت الظلمه وحامد فوق أجولته لا يند عنه صوت .. فلقد شط به الخيال وأخذته رحلة الماضى بعيداً .. فأنشأ يجتز ذكرياته .. ثم زفر وتقلص وجهه ألما .. وقال لنفسه (لقد عانيت الحرمان يا حامد طويلا .. وتجرعت كل كئوسه .. ألا تذكر موت أبيك وأمك .. ثم تتابع شرور الدنيا عليك بعد ذلك لقد طفت البلاد كلها .. ياحامد .. لتبحث عن رزقك وزرعت بذراعيك حقولاً سمراء فى كل سنوات عمرك وكنت تخرج فى معظم الأحيان دون أن تجد ما يكفى حاجتك ..

وعندما كان يشتد عليك التعب فتستسلم للراحه .. كان يمزقك الجوع ويأكلك برد الشتاء فتعود إلى الخولى القاسى القلب فيقبل عليك وفى كفيه خشونه ويصفعك على وجهك ويقول لك فى إزدراء .. أتعود لى مره ثانيه .. دون أن تأخذ عقابك .. آه ياحامد .. كم قاسيت وكم تعذبت ... ولكن هل من مزيد ...؟؟

فالدنيا لم تتحسن كثيرا ... سوى زواجك من نفسيه التى قابلتها وانت فى أراضى عزب الكاشف .. تنثر مشاتل الأرز فوق مسطحات المياه الطينية .. كان جمالها السخى وأغنياتها العذبه .. تورد قلبك بالفرحة ... ويوم أن تزوجتها كان يوم السرور العظيم .. ويوم أن أنجبت منها أبنك هاشم كان يوم حلمك الأكبر .. هذه هى السعادة التى تجعلك صابرا على العيش ياحامد ....

وأفتر ثغره عن إبتسسامه وأهنه وعاد إلى نفسه .

نصيبك هذا العام من هذه الزرعة طيب والحمد لله سأتمكن من شراء جلباب القطيفة لزوجتى .. ستفرح به كثيرا ... لأنها تحلم به منذ سنوات .. وسأشترى أيضا الجلباب لأبنى هاشم .. الذى كان يسألنى الحلوى .. فلا أجد القروش لشرائها .

وراح حامد يحلم .. ويحلم إلى أن أنتبه إلى وقع أقدام زوجة نفيسه وفى صحبتها أبنها هاشم فأنبسط وجهه سورا وقال منتشيا :

قالت ووجهها ينطق بالفرحة :

ـ نعم

فسال لعابه وقال وهو يصوب نظراته إلى السمك المشوى برائحته النفاذه :

ـ أكلة طيبة

قالت نفيسه :

ـ أكله لاتأكلها إلا عند زراعة الأرز

بادرها حامد متأثرا :

ـ ستأكلينها كثيرا .. يانفيسة .. بعون الله .

أقترب هاشم من أبيه وهمس فى أذنه :

ـ أين الخمسة قروش ...؟؟

دس حامد يدة فى جيب جلبابه المرتق وأخرج خمسه قروش وأعطاها لهاشم وقال وهو منتفخ الأوداج :

ـ ماذا ستشترى ...؟؟

جعل هاشم يغنى ويرقص ويقول فرحا :

ـ سأشترى عسليه من عمى حسنين .. فأنا لم أذقها منذ شهور .. ثم أفترشوا الأرض وأخذوا يأكلون فى نهم .

قالت نفيسة :

ـ كم ضريبة نصيبنا من هذه الزرعة ..؟؟

قال حامد فى فخر :

- ضربتان ..
- شويت السمك يا نفيسة .

فتلألأ وجه نفيسه إشراقا وقالت :

- خير كثير .. ياحامد .. ربنا أكرمنا ياحامد .

وأطرقت مليا ثم قالت :

- والجلباب ياحامد .. ؟؟

قال حامد فى ثقه :

- سأشترى لك جلباب قطيفة أحمر يانفيسة .

أنبسط وجهها سرورا وقالت والكلمات ترقص على شفتيها :

- قطيفة أحمر .. جلباب قطيفة أحمر .. ! !
ربنا يحفظك لنا ياحامد .

- ربت حامد على كتفها وقال متأثرا :

- أنت صبرت كثيرا يانفيسة .. وتستحقين أكثر من ذلك .

وبعد حديث عذب ممتع دلفت نفيسة هى وابنها هاشم إلى الكوخ الطينى المعروش بقش الأرز وبقى حامد بجوار أجوله الأرز يرنوا إليها بحنان . ثم جلس القرفصاء وأشعل ركيه نار وأنتزع منها بضع حجرات وأخذ يقرقر فى الجوزة ... وكان يشعر وهو يشد أنفاسها بأنه قد أصبح سلطان الدنيا ... وظل يرسل أنفاسه حتى نام كل الناس وبقيت كائنات الليل تنشيد أغانية السخية ..

وفجأة اكفهر الطقس ودمدمت الرعود .. وخرجت ألسنه البرق من بطن السماء ... فأنتفض حامد من مكانه جزعا وسدد بصره إلى الكون من حوله .. فتناهى به الضيق وشعر بقوس نارى يخترق صدره .. فالسماء ستمطر .. ومطر الشمال لارحمة

فيه ولم يكذب الحظ نبوءته .. فهطل المطر بغزارة .. وأنسابت قنوات مائية على الأرض

دخل حامد مذعورا إلى الكوخ الطينى ليبحث عن حبال التيل .. فلقد كانت أجوله الأرز غير موثوفة .. وأيقظ زوجته .. فنهضت من نومها وجله تستفسر الأمر .. ثم أنشأ الأثنان يبحثان عن الأحبال كل منها يجذب فى يده جوالا ليدخلة إلى الكوخ ..

وأستيقظ هاشم من نومة .. وراح يساعد والديه .. وهب الجميع يجذبون جوال الأرز إلى الداخل ... فسقط منهم على الأرض الغرق بالماء والطين وتناثر كل مافيه ألتفت حامد إلى زوجته نفيسة وقال وجسمه كله يرتجف :

ـ مالعمل ..؟؟

قالت بصوت مختنق :

ـ نضعهم فوق بعض .

ولكن الظلام كان شديدا .. والمطر لايكف عن الهطول .. فأنتفض حامد من مكانه فزعا .. وهو يرى الأجوله تتساقط تباعا ويختلط أرزها بطين الأرض .

رنت نفيسه إلى زوجها وقالت وهى حزينه آسيه :

ـ وأخيرا سقط المطر .

قال زوجها فى إستياء :

ـ وضاع المحصول

ـ خسارة شقانا .

ـ وكدنا طول السنين

ألتصقت نفيسة بزوجها ومضت تقول .

ـ ومالعمل ياحامد ..؟؟

هز رأسه فى أسى وقال :

ـ أرض ثانيه .. وتعب ثانى يانفيسة

وعن قرب راح إبنها هاشم يبحث عن الخمسة قروش فوجدها فى جيب جلبابه ملتصقة بلحمه تهللت أساريره وقال لنفيسة «فى الصباح سأعبر القنطرة وأشترى العسلية من عمى حسنين»

وأنشأ يتخيل نفسية وهو يستحلب حلاوتها فأنشرح صدره .. ألقى نظره إلى الشاطئ الآخر وإلى الشيخ حسنين .. وطافت فى رأسه أحلام الصباح .. وكان الفجر قد شق قلب الظلام .. وأنتشر نوره على مساحات الأرض الغرقى بالمطر.

وفى الصباح .. أسرع هاشم الخطى .. وأحلام الشاطئ الآخر تشده إليه ... وكانت الشمس قد ملأت الأرض بالنور .. ودكان الشيخ حسنين يزهو أمامه متألقا والقنطره قد بدت ملامحها جليه.

فقبض هاشم بيده على الخمسة قروش وعبر القنطرة وعند منحنى طريق دكان الشيخ حسنين.

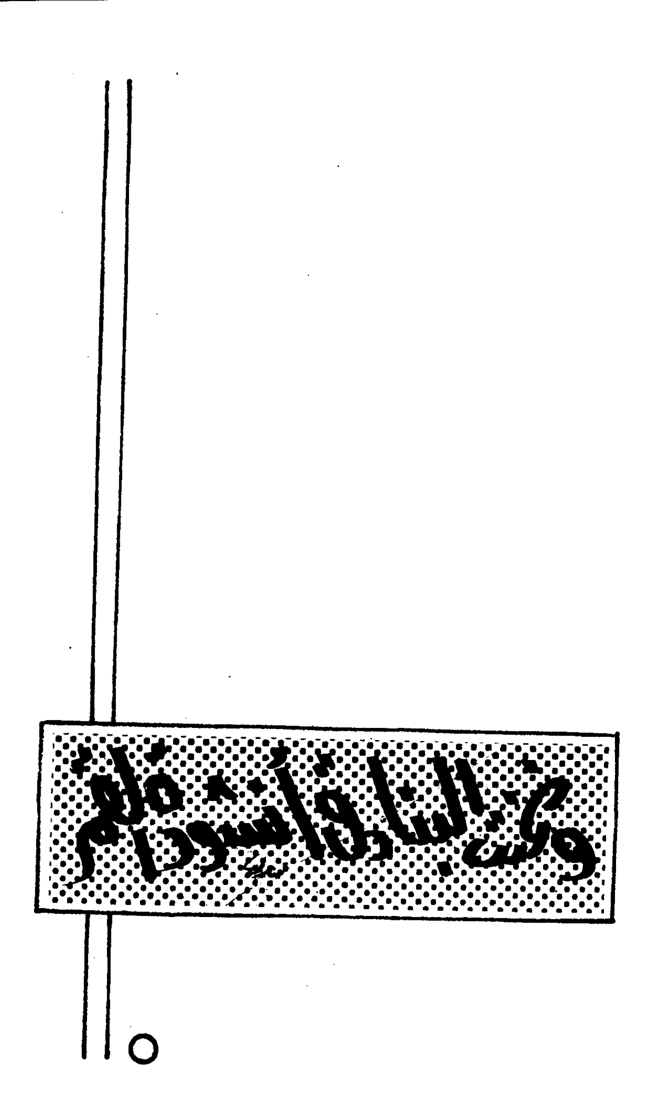
زلت قدماه .. فسقط على الأرض الموحله ومع سقوطه أنتثرت الخمسة قروش وهوت فى قاع النهر.

فأنتفض حامد من مكانه مذعورا وهم أن يلقى بنفسه وراء قروشه .. ولكنه تذكر حكايات الجنايات .. التى تعيش فى قرار الماء وتستعذب خنق الصبية الصغار وأنسابت فى ذاكراته حكايات جدته العجوز فى ليالى الشتاء الباردة.

فتسمرت قدماه .. ونكس رأسه إلى أسفل ..

وأخذ يحلق فى دوائر شمسيه صغيره .. فى حجم القرش.. والخمسة قروش .. تنسكب على صفحة مياه النهر من خلال أغصان الأشجار المغسولة بماء المطر.

الزقازيق : ١٢ فبراير ١٩٧٢



أنتظمت صفوف الجنود كأسوار الفولاز .. ملامحهم كصقور جارحة .. نظراتهم متوقدة متحفزة .. أصابعهم على أزنده السلاح .. ثم لفظت الأرض من باطنها جنودا ... هلعة .. تناثروا على وجه الرمال بوجوه فزعة .. توسطهم جندى أشعث الشعر ممزق الثياب متهاوى الساقين راح يلفظ أنفاسه بصعوبه ويقول بعربية غير واضحة :

- لاتقتلونا .. نحن نستسلم .. نحن نستسلم .. نحن نستسلم .

ثم ترنحت جماعات اليهود بين قامات الجنود المصرية

قال القائد المصرى فى عبرية واضحة :

- فليلق كل منكم بسلاحة على الأرض .. وليتقدم إلينا قائدكم .

ألق الأسرائليون بسلاحهم ولم يتقدم كبيرهم تفرسهم الضابط المصرى بنظرات صارمة ثم قال بصوت حاد النبرات :

- من قائدكم ..؟؟

تقلصت وجوه الأسرائلين خوفا ولاذوا بالصمت

رشقهم القائد المصرى بنظرات نارية .. ثم أصدر أوامره إلى العريف أسامه بأقتيادهم إلى مقر رئاسة القيادة .

أندفع نحوهم أسامة على رأس جماعته .. وشق صفوفهم بجساره .. وجمعهم صفين أرتسمت على الوجوه الأسرائيلية قسمات متنافرة . لاتجانس بينهم فيهم الأشقر والأسمر .. وفيهم ذو الشعر المسترسل والمجعد .. ووجوههم تحكى حكايات .. متباعدة تألق وجدان أسامة .. توردت الفرحة على وجنتيه لمعت فى رأسه أفكار متوهجة .. تدفق الدم حارا فى شرايينه فاجأته أنة صادرة من اسرائيلى أسمر الوجه .. زائغ العينين .. جاف الشفتين .. يقول بصوت متهدج :

- قليلا من الماء ...

أخرج أسامة زمزميته .. وأعطاها للاسرائيلى فقبض عليها بيدين مرتجفين وقبل أن

تلمس شفتاه الماء .. أنقض عليه اسرائيلى آخر ونزعها منه .. ثم أفرغها فى جوفه ..
لمعت عيناه غضبا وأفرزت شفتاه الزبد ثم هجم على زميله ولطمه لطمه قويه ألقته أرضا .
نهض المضروب وحاول أن يلتحم بالضارب .. فأندفع نحوهما أسامة وخلصهما من العراك .. ثم أقتادهما إلى قيادة الموقع .
وكانت المعارك مازالت مشتعلة الأوار ..
وهدير المدافع يخترق أحشاء الفضاء .. وأزيز الطائرات يزمجر فى الفضاء ويصب لهيب الموت على المواقع الاسرائيلية .. وجماعات الجنود المصرية تخترق الحشود الأسرائيلية المدججة بالسلاح .
فى شجاعة وثبات . ويتسابقون إلى الموت فى أنشودة رائعة الأداء .. وتحت أتون نار المعارك وصل أسامة إلى قيادة الموقع ومعه مجموعات الأسرى . هناك سجلت أسماؤهم وأجريت لهم الترتيبات اللازمة لرحيلهم .. ثم أقلتهم سيارة وأنطلقت بهم .
ظل أسامة طوال الطريق يتأمل وجوههم المكفهرة .. المتنافرة .
تدافع إلى أذنيه حديث هامس بالعبرية بين أسيرين .
قال إسرائيلى أبيض الوجه أزرق العينين لآخر :
- إنى ألعن اليوم الذى جئت فيه من بلادى فرنسا .. كنت أعيش هناك بين أسرتى فى سعادة غامرة وحياة رغدة
نظر إليه الأخر وقال بوجه عابث :
ولم جئت ..؟؟
أجاب :
قمت أنا ومجموعة من أصدقائى اليهود .. برحلة سياحة إلى أسرائيل .. وكنا وقتها نتسوق إلى رؤية إسرائيلى .. هذا الحلم الذى تحقق وقابلتنا السلطات بترحاب كبير ودعتنا إلى الهجرة إليها فوافقنا ..

- هز الجندى الآخر رأسه وقال فى إكتئاب :
- أما أنا فقد حضرت من كندا منذ عشر سنوات مع والدى .. ورفضت خطيبتى الحضور معى ... فعشت أعانى فراقى لها .. ومع الأيام وجدت نفسى مشدودا إلى هذه الأرض الجديدة فتزوجت باسرائيلية جندت معى .. وكنا نقرأ معا كتابات مفكرى إسرائيلى عن الوطن الجديد فيختلط فكرى القديم بفكرى الجديد .. فأعيش مضطرب الفكر مشتت الأهداف ولاذ بالصمت هنيهة ثم عاد يقول بتأثر :
- أما الشئ الذى لم انسه هو ذكريات طفولتى فى موطنى الأول وحنينى إليه الذى لاينقطع .
- رمقه الفرنسي بنظرة ثاقبة وقال :
أما أنا فسوف أطلب العودة إلى فرنسا عند عودتى إلى أسرائيل .
- قال الكندى فى دهشه .
- أتعود هناك .. ؟؟ ودولتك .. ورسالتك .. وأحلامك .
رد الفرنسى بدون أكتراث :
- دولتى .. ورسالتى .. لقد قالوا الكثير عن قوة إسرائيل وبأسها ولكن هزيمتنا فى أكتوبر كذبت كل ذلك .
قال الكندى منفعلا :
- صه .. لاتقل هذا الكلام .. أفكارك الغريبة تثيرنى .
مط إسرائيلى شاحب الوجه عنقه وقال فى يأس :
- ومالغرابة فى ذلك .. ؟؟
أنه يقول الحقيقة وأنا أشاركه الرأى فى ذلك . فلقد حضرت من بلاد الحبشة وكنت أحصى الأيام التى سأهبط فيها أرض الميعاد .. وبعد إستطانى لاحقتنى تفرقة قذره

بين اليهود الشرقيين .. واليهود الغربيين .. وقائد موقعنا هو الذى أستسلم كان يفضل دائما اليهود الغربيين .

وكثيرا ماكنت أتمرد عليه بسبب هذه التفرقة صوب يهودى يناهر الأربعين نظرات حادة إلى اليهودى الأسمر وقال بعصبية :

ـ صه أيها اليهودى الشرقى القذر .

أكفهر وجه الأسرائيلى الأفريقى وقال ووجهه يتقلص بالغضب :

ـ أنا لاأقول هراء .. بل أقول الحقيقة قال الفرنسى وهو يوجه حديثه إلى اليهودى الذى يناهز الأربعين :

ـ قلتم لنا أن العدو جبان يهاب الحرب ولايعرفها .. ثم فوجئنا بمقاتلين أشداء أقوياء يعرفون الحرب بكل وسائلها الحديثة .

أرتفع صوت إسرائيلى يقول بصوت كظيم :

ـ أنكم جميعا مثبطون للهمم .

لاتتكلموا .. لاتتكلموا .

ثم أمسك الاسرائليون عن الكلام وسادهم صمت كئيب .

حملق أسامه فى الوجوه الأسرائيلية التى تعربد فيها ملامح متنافرة .. متباعده فسرح بخياليه .. تذكر سنوات دراسته الجامعية ودراسته للغه العبرية واقباله عليها ليتعرف على كل أسرارها .. وحبه لزميلة دراسته الهيفاء القد الوردية الخدين .. القرمزية الشفتين الليلية الشعر .. وروحها العذبه الرقيقة التى توحى بدفء مصر .

فقال لنفسه منتشيا « سميرة .. ستعطيك الكثير .. ستمنحك الحب والدفء .. والحياة السعيدة »

وانبسطت على وجهه إبتسامة عريضة .

أخذت السيارة تطوي عباب الطريق .. في صمت ومعها راحت تمايل رؤوس الأسرائليين في إنكسار كبير .

وبعد طول معاناه .. عاد الأسرى الأسرائيليون إلى الحديث .. من جديد

قال الكندى :

- الجنود المصريون يزرعون الأرض بالسلاح :

وأضاف اليهودى الأحمر :

- شجاعتهم فاقت كل تصور ..

واسترسل ثالث :

رأيتهم يقبلون على الموت بجسارة

- هز الكندى رأسه وقال :

- لقد سألت نفسي كثيرا عن سبب ذلك ولكنى لم أجد أى إجابه على سؤالى أنفجر اليهودى الذى ناهز الأربعين :

- كفاكم هراء .. يالكم من جنود جبناء أوغاد .

رشقهم أسامه بنظرة ثاقبة وقال :

بعبرية واضحة :

- ناقشوا أموركم في هدوء .. ولاداعى للغضب .

لاحت الدهشة على الوجوه الأسرائيلية

فتساءل الكندى بصوت منكسر :

- أتتكلم العبرية .. ؟؟

قال أسامة في كبرياء :

- وأعرف أيضا الكثير عن شئونكم.

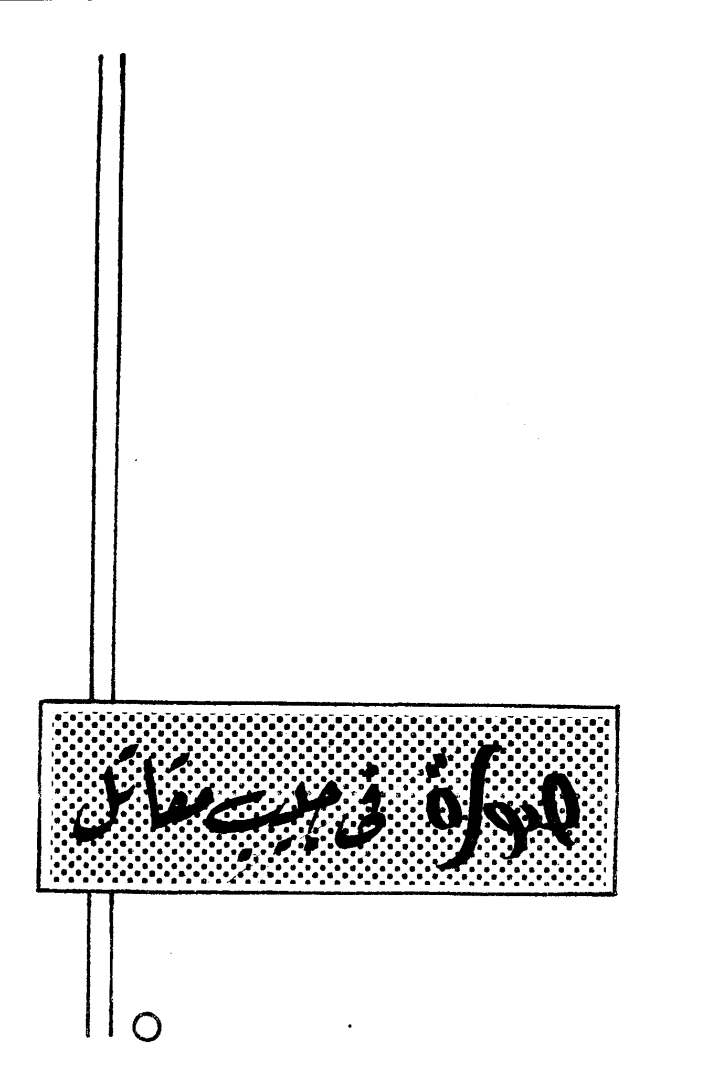
قال اليهودى الأسمر:

- ستفاجئ بالكثير.. والكثير.

سرت همهمة بين الجنود الأسرائليين.. زاغت عيونهم فى تأملات شاردة ثم وقفت السيارة أمام معسكر تجميع الاسرى ونزل أسامة من سيارته يقتاد معه الأسرائيليين وبعد أن أتم إجراءات تسليمهم إلى سلطات المعسكر. قفل عائدا بسيارته إلى موقعه هبت عليه نسمات ندية.. أحمر وجه الأفق بالغروب.. وعلى مرمى البصر تراءت له بيوت قرية مصرية.. ملفحة بخضرة النخيل مزدانة بمآذن بيضاء.

انبرعت فى رأسه صورة قريته العذراء الرابضة على ضفاف النيل.. تذكر تلالها المزدانه بنقوش فرعونية قديمة.. ومسجدها وضريح شيخها الصوفى الجليل الذى وقف محاربا الأعداء.. وقت المحن والخطوب. سرت فى كيانه مشاعر دافئة. تموج بدفء حار متوهج.. عندما أسترجع أطياف جدته العجوز وهى تجمع أطفال قريته فى ليالى الصيف القمرية وتقص عليهم حكايات خضراء.. عن قريتهم العذراء.

الزقازيق: ١٩٧٥


جولة في جيب سائل

ظلت المعارك محتدمة الأوار الى أن شارفت الذخيرة على النفاد .. فعزز العدو قواتة بعدد كبير من الدبابات والمدرعات .. وأحكم الحصار حول الموقع الصغير الذى أستبسل فى الدفاع عن نفسه .. بشجاعة وفداء فأقترب القائد المصرى من الرقيب فرحات ..

وهمس فى أذنه :

- لقد ضيق العدو الخناق من حولنا .. ونريد فتح ثغرة فى حصاره .

أجاب الرقيب فرحات على الفور :

- سأفتح الثغرة بنفسى ياأفندم .

- كيف ..؟؟

أشار الرقيب فرحات باصبعه ناحية ميمنة الموقع وقال بثقة :

- هذا .. أضعف جانب للعدو .. وفى نفس الوقت هو المنفذ الوحيد للطريق الى قواتنا .

تلألأت أسارير القائد بالفرحة وهو يطوق العدو بنظراته . ثم قال وهو يرمق الرقيب بنظرة إعجاب :

- أعلم ذلك يا فرحات .. ولكن كيف يتم ذلك .؟؟

أخذ الرقيب فرحات يضرب بقبضة يده على مدفعه ويقول فى حماس :

- سأدمر بمدفعى هذا .. دبابات العدو .

حملق القائد فى وجه الرقيب فرحات .. فرآه يسطع بنور غريب فقال :

- جندى شجاع .. يافرحات .

وسكت هنيهة .. ثم مضى يقول :

- ولكنى أشفق عليك من كثرة التضحيات التى بذلتها . والبطولات التى حققها .

ضرب الرقيب فرحات بيده على صدره وقال منفعلا :

- كل التضحيات تهون من أجل مصر .

صافح القائد الرقيب فرحات وضغط على يده بحرارة وقال :

- نفذ مهامك يا فرحات على بركة الله .

حمل الرقيب فرحات مدفعه المضاد للدبابات .. وشق طريقه الى موقع العدو بخفة وحذر .. وما أن أقترب منه حتى أنطلق الى كثيب رملى . وأختفى وراء قمته .. فرأى دبابات العدو عن قرب يلفها الليل بأرديته السوداء .. فأمتلأ صدره بشذى طيب ..

وأعتلت وجهه أبتسامه مشرقة وراح يلتفت يمنة .. ويسرة إلى أن فوجئ بطلقات نارية تمرق من فوق رأسه فأنبسط بجسمه فوق الرمال .. وما أن توقف القصف حتى مد يده الى صدره وطفق يتحسس ما فى جيبه ثم أخرج مصحفا. .وصورة ملفوفة فى منديل .. وفتح المنديل وأمسك بالصورة .. فبدت له فى ظلمة الليل مضيئة متألقة فغمرته مشاعر حارة .. شملت كل جوارحه .. فترقرقت الدموع من عينيه .. فقبل الصورة ولفها فى المنديل ووضعها فى داخل سترته .. مست قلبه رجفة قوية .. ثم نهض من مكانه وأندفع الى الإمام بإرادة صلبة .. وأقترب من دبابات العدو وتوارى خلف كثيب رملى آخر ..

وأنشأ ينعم النظر فى هدف مرماه .

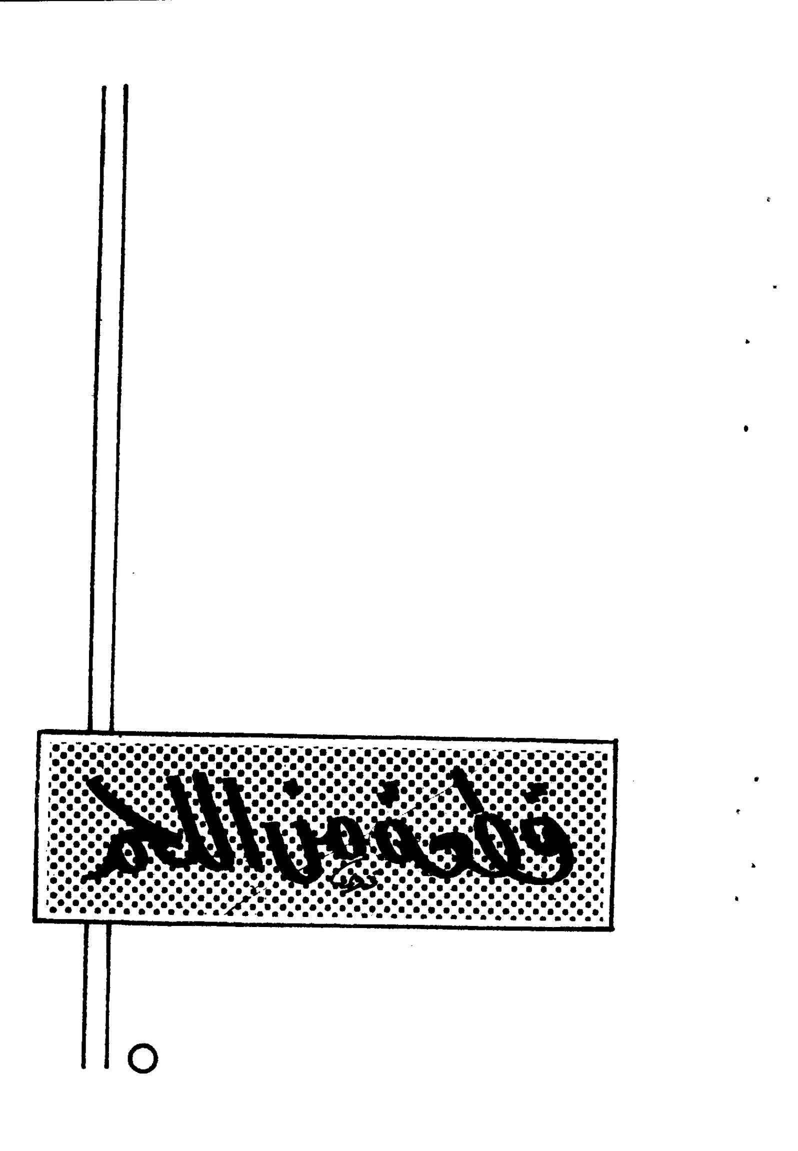
فرأى دبابة ملفوفة بجسمها الحديدى .. تسد جانبا من ميمنة العدو .

فصوب إليها مدفعه .. وأنهال عليها بداناته

أهتز جسم الدبابة .. وترنخ برجها .. ثم قذف جنودها بأنفسهم على الرمال ..

فأستقبلتهم نيران الرقيب فرحات فسقطوا صرعى حول دباباتهم .
وفجأة..والرقيب فرحات فى نشوة الإنتصار .. شعر بقوس نارى يخترق .. كتفه فأمسك بيده جرحه وأخذ يزحف والدماء تنزف من جرحه بغزارة وتغرق ملابسه وتبلل ذرات الرمال من تحته وظل الرقيب فرحات يواصل مسيرته .. تحت سيل النيران المنهمرة من حوله .. حتى أقترب من الدبابة الأخرى فقذف بقنبلة يدوية فى برجها .. فأرتفعت منها ألسنة النار .. وشرائط من الدخان الأسود أزداد جرح الرقيب فرحات إتساعا .. وسالت منه الدماء بغزارة .. وبمشقة كبيرة .
أخرج الرقيب فرحات مسدسه المضئ الطلقات .. وأفرغ ثلاث طلقات .. إشارة لجنود موقعه بنجاح المهمة التى كلف بها .
ثم مد الرقيب فرحات يده الى سترته وأخرج الصورة .. فتراءى له إبنه وليد مضيئا مشرقا وكأن ضحكاته تملأ الساحة كلها من حوله .
فضم الصورة الى صدره..بيد مرتجفة..
وتألقت على وجهه إبتسامة عريضة ثم أسلم الروح فى لحظة حب أبدى .

الزقازيق ١٩٧٥


قطفة من الكلم

أمتطى ظهر أمه وهمس فى أذنها فرحا :

ـ الى السوق ياأماه .. قلبى مشتاق الى اللحم فجذبته أمه إليها .. وضمته الى صدرها بحراره وراحت تقبله .. وتتفرس بعينين كليلتين فى وجهه الشاحب .. ووجنتيه الغائرتين .. وجلبابه الرث المعلق على منكبيه الناتئين .

طفرت العبرات من عينيها .. فألتصق الطفل بأمه وقال بصوت متصدع :

ـ لم البكاء ياأماه ..؟؟ هيا الى السوق قبل أن يفرغ اللحم .

كفكفت دموعها بأسمال ثوبها المرتق ورسمت إبتسامة فاترة على شفتيها وقالت :

ـ سأذهب ياولدى .. لأحضر لك اللحم الذى تشتهيه .

تهلل وجه الطفل سرورا فأخذ يدور من حولها ..يغنى ويرقص .

دفنت الأم فى صدرها القروش المعدودة .. وغادرت الدار .. وكان الصباح مازال بلد النور .. والشمس على مشرق الأفق تدر الوهج .. وطين القرية فى أزقتها وحواريها ينضح بالندى .

أنثالت على رأسها صيحات طفلها ..وتراءت أمام عينيها فرحته المجنونة باللحم ..فهذا موسم .. والموسم عيد يترقبه إبنها .. ففيه اللحم والثريد واللحم والثريد أحلام لا تفارق مخيلته .

أنشأت تحصى مواسم هذا العيد .. وما أحتواه من لحم وثريد وتدور مع الماضى .. فتتابع فى رأسها سنوات عمر إبنها .. ومشقة هذا العمر .. وطعناته الناجعات .. منذ أن مات زوجها .. وهى ريانة الصبا .. الى أن أذبلت السنوات العجاف شبابها .. فأرسلت تنهيدة آسية حزينة .

أمتد أمامها الطريق المترب المتعرج .. وعوت ريح خريفية صفراء أخذت تهز ذوائب الشجر ونعقت غربان سوداء كالحة ..
جعلت المرأة تقذف بقدميها العاريتين المكدودتين حتى بدا لها السوق على مرمى بصرها .. فأتسعت عيناها .. وأنشأت تستنشق عبير نسماته المحملة بروائح الشواء .. بلعت ريقها .. وداعب لسانها شفتيها الذابلتين .. ولكنها شعرت بالحسرة عندما تذكرت قروشها المعدودة لشراء اللحم .. فقرش واحد منقوص .. سيحول دون شراء اللحم الذى يترقبها إبنها ..على أحر من الجمر.
تلوى أمامها ركب السوق..وتدافعت قوافله..وتعالت صيحات الأطفال .. وثرثرة النساء .. وتناثرت فوق الأرض السمراء معروضات الباعة .
ظلت المرأة تجوب السوق من أقصاه الى أدناه . وترنو بعينين جائعتين الى ألوانه وأشكاله ثم تسمرت قدماها أمام بائع الطعمية .. وجعلت تنعم النظر فى أقراصه الراقصة فى إناء الزيت المغلى .. نظر إليها البائع نظرات حادة .. ثم قال ساخرا :
ماذا تريدين ياإمرأة .؟؟ هل ستشترين كل ما فى الإناء ..؟؟
ولت المرأة من أمامه مسرعة .. وطفقت تشرق وتغرب .. فى أنحاء السوق .. ثم وقفت فجأة أمام شال من القطيفة الأحمر موشى بحبات من الخرز الملون وقد أمسك به صاحبه وراح ينادى بأعلى صوته .. والنسوة مكتظات من حوله أقتربت منه المرأة ولمست بأصابع مرتجفة نسيجه الناعم وداعبت خرزاته .. بشغف .. فسدد إليها صاحبه نظرات صارمة ثم جذبه من بين يديها ونهرها بقسوة ..
فأضطربت المرأة ثم أنصرفت من أمامه وهى مصفرة الوجه وهمست لنفسها قائلة (أضحكت عليك الخلق ياأمرأة .. الشال لن تشتريه أبدا .. لما كان لك أن تفعلى

ذلك) وظلت تخاطب نفسها حتى صدمها حمار فطرحها أرضا .. فأنتفضت واقفة وهى معفرة الوجه .. ومتربة الملابس ودست يدها فى عجل الى صدرها تبحث عن قروشها فلم تجدها فى جيبها . فتكور جسمها كله وندت عنها صرخة عالية .. وراحت تدور بعينين مجنونتين من حولها .. ثم أندفعت الى الأرض وألتقطت قروشها المنثورة فوق التراب .. وقبضت عليها بقوة .. وأخذت تعدها فى عجل .. وما أن أكتملت القروش فى يدها حتى أنبسط وجهها سرورا .. فأنطلقت نحو القصاب ووقفت مع المحتشدين من حوله .

دغدغت الفرحه .. حواسها ..

فقالت وهى مزهوة بنفسها (الآن .. ستشترين اللحم وتأكلين اللحم المحمر .. وسينام أبنك الليلة قرير العينين) وجعلت تقلب عينيها فى اللحم المعلق .. وتراقب القصاب وهو يشطره بالسكين .. ويدق كتلة بقوة .. فتتطاير من حوله ذرات اللحم الممزق أقتربت من القصاب سعيدة مسرورة .. علق فى فمها .. فتات من اللحم المتناثر .. أطبقت شفتيها على عجل ألتفتت يمنه ويسره .. ثم راحت تلوكه فى نهم وتستحلب ريقها فى شغف ثم مدت يدها الى القصاب وأعطته النقود .. فقطع لها حاجتها وقذف بها فوق فخذيها .. ألتقطت المرأة قطعة اللحم .. وتأملتها فى فرح ثم وضعتها بحذر فى سلتها .. وهى منتفخة الأوداج .

وفى الطريق الى قريتها .. داعبتها أحلام عذبة .. تخيلت نفسها وهى تضرم النار فى القدر وقطع اللحم وهى تمور فوق اللهب المستعر ورائحة اللحم وهى تشيع فى المكان كله .. ثم وليمة العشاء .. وشرائح اللحم المنثور فوق الثريد المغطى بالسمن .. ثم إبنها وهو يلتهم الطعام ..

أفتر ثغرها عن إبتسامة عريضة .. فأخذت تسير تياهة الخطى .. وتملأ صدرها من نسمات الحقول الخضراء..وترنو الى الأفق الأزرق الملفح بأشجار النخيل راحت تحلم .. وتحلم الى أن فاجأها كلب داكن اللون نحيل الجسم يركض فوق جسر ترعة آسنة المياة .

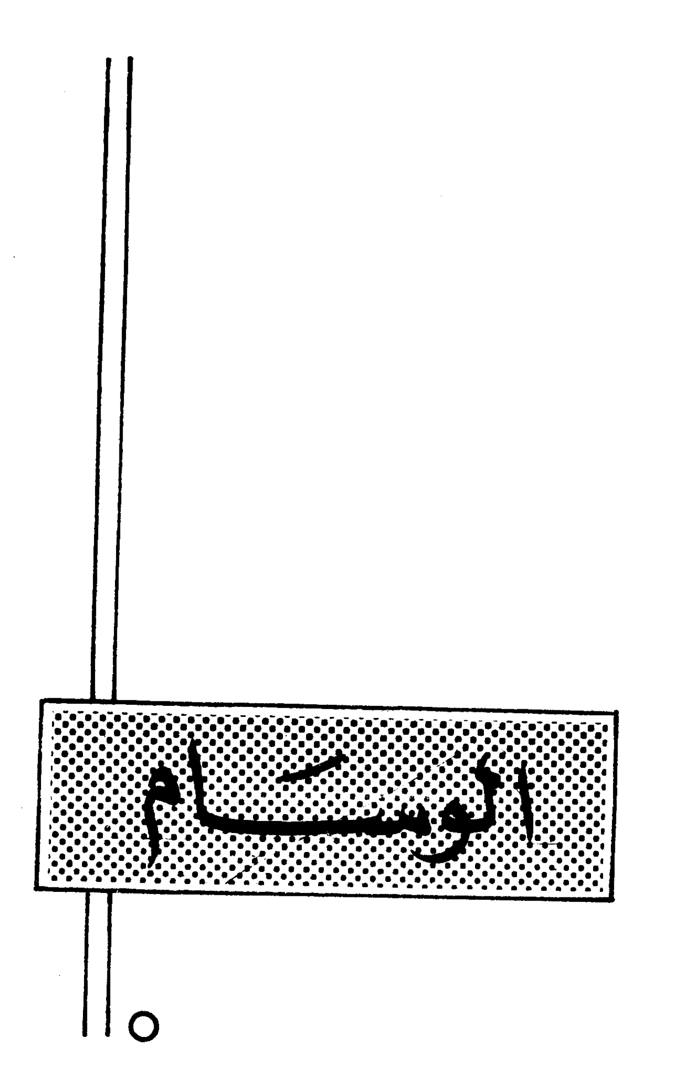
وما أن أقتربت منه حتى وثب أمامها..فغرفكية الضامرين وتدلى منها لسانه وراح

الكلب يلهث ويهز ذيله .. تقهقرت المرأة بضع خطوات الى الخلف . أرتجف جسم الكلب ونضح الزبد غزيرا من بين نابيه الحادين .. ثم قفز مسرعا فوقها .. وأطاح بألسلة من على رأسها وأنتزع قطعة اللحم وقذفها بين مخلبيه وأنشأ يلتهمها فى نهم مسعور . برقت عينا المرأة.. وأتسعتا . ثم أندفعت بكل قوتها .. وأنتزعت قطعة اللحم الباقية من بين مخلبيه فعوى الكلب عواء كئيبا .. ثم هجم على المرأة وطرحها أرضا .. وأنشب فيها أظافره صرخت المرأة .. وأرسلت انات إستغاثة عالية .. مدوية . .فهرع إليها رجل كان فى حقله وأندفع الى الكلب يضربه بعصا غليظة حتى ولى الكلب هاربا .

تقدم الرجل الى المرأة وحملها على حماره الى قريتها .. وهناك فى دارها بسطوا جسمها على حصير قدم فتدافعت إليها النسوة وأمتلأت الدار بهن.

أندفع الطفل الى الجمع الحاشد .. وألتصق بجسد أمه .. وراح يرنو بعينين باكيتين الى قطعة لحم ممزقة من فخد أمه قد تناثرت من حولها دماء شاحبة كشحوب وجهها المتلقص بالألم.

الزقازيق: ١٧ نوفمبر ١٩٧٥


الوسام
٥

وقف ممشوق القوام .. منبسط الأسارير وهو يتقلد وسامه اللامع تحت وهج القناديل المرتعشة بنسمات الليل الندية والجنود من حوله يمطرونه بالمدح والثناء. ثم هدر المعسكر كله بصوت قائده وهو يقول:

ـ أحتفلت الدولة بتقليد مدحت وسام البطولة .. والآن .. نحتفل نحن أفراد الوحدة بتقليده الوسام حبا وعرفان بالفخار الذى منحه لنا جميعا.

فدوت الساحة .. بأكف الجنود. وبدأ الحفل فى ليل حلو عاطر النسمات وكان الجنود على منصة الحفل يعيدون الى الأذهان فى حركات رائعة الأداء .. حكايات الحرب .. وما سجلته القوات الخاصة من بطولات أسطورية.

تجمل وجه مدحت سرورا .. وتواثبت أمام عينيه ذكريات المعارك .. ورائحة البارود .. والسعير المتلظى فى كل مكان .. وتهادت أطياف رفاقه الشهداء وهم يبذلون دماءهم .. رخيصة لإحراز النصر حيث كانت الشجاعة سمة كل نفس .. والشهادة أمل كل مقاتل.

وأنتهى الحفل .. وقلب مدحت يزهو بآيات الحب .. والوفاء .. كانت الدنيا تتألق أمامه فى الساحة كلها .. وكان يشعر بأن الحياة قد سرى فيها دم جديد وذلك بعد أن خمدت الحرب بإنتصاراتها .. جراح المأساة ومضت الأيام القليلة له فى الوحدة العسكرية .. حلوة رائعة توجتها سيرة عطرة وصحبة طيبه مع رفاقه الجنود.

ثم أنتهت الخدمة العسكرية لمدحت .. وسرح الى الاحتياط وهو يحمل وسامه الذى شغف به حبا .. وضعه فى علبة أنيقة .. وحفر له مكانا بين ضلوعة.

وكان أهل الحى جميعا .. يكيلون له الثناء .. فى ذهابه وأوبته .. ثم تسلم مدحت عمله فى حياته المدنية وهو منتشى القلب .. مثلج الصدر وأستقبله .. الرفاق بالترحيب

والتكريم .. وألتفوا من حوله يصغون بحب الى حكاياته .. وأصبح فى عمله يسمى بصاحب الوسام .

• • •

ثم دارت الفصول دوراتها .. وتتابعت أيامها وشهورها .. تفرز بين ثناياها الصقيع والقيظ ..المطر والقحط .. الليل والنهار .. وفغرت أبواب العمل أفواها .. تولج أشياء سقيمة .. وكلحت حوارى الليل .. وأذقة الظلام تنفث دخانا أسود ..

أنحنى مدحت الى ملفاته .. وأوراقه .. وأنشأ يتأمل القنوط الذى يتغلغل فى أعماقه غير أن الضوء فى قرص الشمس .. تلاشى عن بصره وبصيرته ..وهبطت على الساحة الظلمة .. فماج بالثورة .. وتفجر صدره غضبا..وأندفع الى القوم..يشحذ هممهم .. وينبأهم بالخطر المحدق بهم .. وبالطوفان الجارف الذى سيغرق الماء فى الوادى الأخضر .

أخذ مدحت يفند لهم السقم النازل على رؤوسهم .. ويستنبط لهم أسبابه قهقهت الأفواه فى غيبوبة سوداء .. وعادت الى يأسها ترضع الصمت وتلوذ به حاول مدحت أن ينفض عن نفسه الغبار المتراكم على وجه .. وراح يبرعم فى مخيلته أيام الدم والنار .. فوجد نفسه يهبط فى جب سحيق لا مقر له ولا مستقر فأمتشق حسامه .. وطفق يقاوم جحافل .. القنوط المتدافع من حوله فى كل مكان وأستبسل فى المقاومة .. دون جدوى وفى جنون غضبه وجموع ثورتة .. همس فى أذنه زميل من زملائه فى الشركة:

- أموال شركتنا .. تنهب يامدحت

قال مدحت غاضبا:

- من الذى يسرقها..؟؟

قال فى لؤم:

- أظنك تدرك الأشياء من حولك.

- لو كنت أعلم ما تعنيه ما سكتت

- رد زميله ساخرا:

- وماذا ستفعل..؟؟

أجاب مدحت فى حسم:

- سأمنع السارق مهما كان.

رمقه زميله بنظرة ثاقبة ولاذ بالصمت.

وضع مدحت يده على كتفه وقال:

- أنت تعرف أنى لا أخاف شيئا .. لقد صلت وجلت فى قلب المعارك .. وواجهت الموت بنفس غير هيابة أكثر من مرة.

قال الرجل بدون اكتراث:

- ولكن هنا الخصم فيها يختلف.

أجتاحت مدحت ثورة عارمة وقال:

- الجبن هنا .. يركبكم جميعا.

رد الرجل على الفور:

- نعم يركبنا جميعا.

ثم هز رأسه ومضى يقول:

دع الخلق للخالق..يامدحت.

أخذ مدحت يتقصى مقولة زميله فى كل مكان .. حتى تجلت له الحقيقة .. فالسارق هو مدير الشركة .. ومن حوله زبانية يحبطونه بصلابة .. وهم جميعا ثلة متكاملة العدة .. والعدد فراح مدحت يعيد الكرة ليتحرى المعلومات والحقائق .. فى كل مكان .. وأستعصى عليه إثبات أى منها بسند قانونى .. فأستنفز أصحاب النخوة والحق والفضيلة.. ليساعدوه

فتوارى الكل عنه.
فعقد العزم على أن يواجه الموقف منفردا فسلط المدير عيونه على مدحت .. فتواثبوا عليه كجيوش النحل .. الكل يرغب فى لدغه ..
الجميع يتطوع فى تقديم الخدمات لسيده.
ناهض مدحت الطوفان .. وحيدا..وظل يقاوم فى مثابرة وجلد.الى أن قيل له فى نهاية الأمر. لاتوجد أدلة على ادعاءاتك .أقوالك باطلة وفيها طعن لشرف وكرامة مدير شركتنا النظيف ..النزيه.

ومن حقه الأن أن يرفع عليك .. دعوة رد إعتبار.
قال له عين من عيون ..المدير ناصحا إياه:
- المدير يمكن أن يصفح عنك .. فكن رجلا من رجاله .. ودعك من أوهامك السوداء.
أنت الآن لست فى حرب مع العدو .. الوسام هذه المرة .. ليس لك بل عليك..

سيحرق صدرك ..وسيكون وبالا .. على مستقبلك أفترسه مدحت .. بنظراته .. ثم تركه وقفل راجعا الى بيته .. وماأن وصل الى حجرته حتى أخرج الوسام من علبته الأنيقة الفاخرة وأمسكه بيده. وطفق يحدق فيه طويلا ثم وضعه على صدره وجعل يتأمله فى المرآة ويخاطب نفسه.

الوسام هذه المرة .. سيحرق صدرى .. سيكون وبالا على .. يالها من كلمات .. واكفهرت ملامحه .. ومضى يقول لنفسه .. الوسام سيظل وسامى .. وأنا جدير به..)

وأرتسمت على وجهه تشنجات حادة .. وراح ..يقهقه .. ثم تحولت قهقهاته الى صياح .. ثم نحيب وعويل فهرولت أمه اليه فى فزع .. وقالت بعينين باكيتين: ماذا أصابك .. ياولدى

فأنفجر فيها غاضبا. وقال وعيناه تذرفان الدموع:

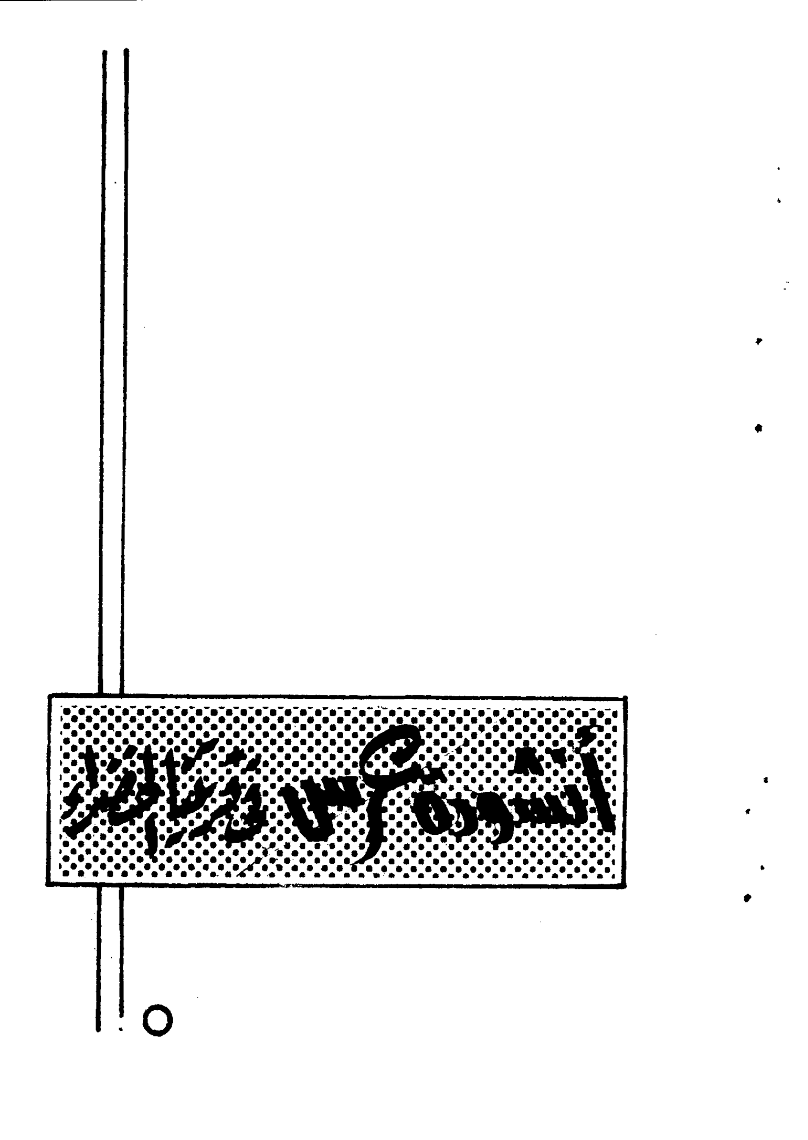
هذا الوسام .. وسامى .. وأنا جدير به ولن يحرق صدرى .. لن يحرق صدرى ..

أندفعت المرأة الى أبيه صارخة:

- أبنى مدحت .. أصابه .. مكروه .. ولدى الحبيب أصابه الجنون

وثب الرجل إليها..وأندفع الى حجرة مدحت.فلم يجده .. بحث عنه فى المنزل فوجده خاويا .. أنطلق الى الخارج. وظل يبحث عنه فى كل مكان فلم يعثر له على أى أثر

الزقازيق ١٩٧٦م


أنشودة عرس

قفل عائدا من فوق الحقول الخضراء .. يحمل فأسه وحبات العرق تتفصد جبينه المحروق بقيظ الظهيرة .

وكانت الفرحة تشيع فى كل قسمات وجهه .. بعد أن علم بعودتها من عرس القرية المجاورة .. فلقد شاقه الحب إلى حبيبته المياسة القد .. المجدولة الضفيرتين الصبوحة الوجه .. الطاهرة القلب .. وما أن وطأت قدماه القرية حتى هرع الى دارها وهو مثلج الصدر ..وبسام الثغر. فأنبرت له خالة حبيبته العجوز تقول :

لقد أنتهى الأمر يافتى .. غادتك الهيفاء القوام .. الحلوة الشمائل لم تعد لك . فهناك فى القرية المجاورة .. الواسعة الثراء .. قد خطبها شاب وسيم المحيا رغيد العيش ..عريض الثراء .. وهى جديرة به .. وهو بها جدير .

قال بحدة :

لم أقترف إثما يا أمرأة .. حبات العرق على جبينى هى رأس مالى ..يداى .. فى أرضى السمراء .. هما لى منبت الرزق .. وأنا إبن هذة القرية .. وهى بنتها ويجب أن يبارك أهل قريتنا .. زواجنا هذا فتغير وجه العجوز الشمطاء .. ونضحت شفاتاها الزبد .. وأنشأت تثرثر فى غضب فأندفعت سيدة الدار .. أم الفتاة أمامه .

تقول فى غضب :

أخرج من الدار يافتى .. ما تقوله أختى هو الصواب .. لم تعد بنتنا لك ..وهذا هو قرارنا . أعتصرت الكلمات قلب الفتى ..ودوت كالمطارق فى أذنيه فقال وعيناه مخضلتان بالدموع :

- هذا قرار جائر .. هذا أمر قاسى .. لم تنبس سيدة الدار بنبت شفه وأكتفت بأن سددت اليه نظرات صارمة ثم .. تركته وأوصدت الباب فى وجهه . أحترق وجه الفتى غضبا ..وغلى الدم نارا فى عروقه .. وغادر الدار .. وهو يحمل فى أغواره مأساة لم يكن يتوقعها .. شعر بأن الدنيا قد ضاقت من حوله .. وأن السماء قد أسودت وأن الأفق المذهب بشمس الأصيل .. قد تلاشى وأندثر .. الدنيا .. تتغير .. وتكفهر ملامحها .

•••

ثم أنسابت مع الأيام أفكار عابثه مضينة .. أخذت تقض مضجعة .. وتؤرق عينيه حزنا ..

قالت أمه فى أسى :

- ياولدى رضوان .. بنات قريتنا كثيرات .. جمالهن يعلو جمالها .

رنا اليها رضوان شارد اللب ..ثم لاذ بالصمت .

قطع الحزن قلب أمه .. فراحت تبكى . وتنوح فى حوارى القرية وتقول للنساء فى حسرة :

- سيدة الدار .. وأختها العجوز الشمطاء .. يقتلان أبنى ألما وأمسى رضوان .. يحوم حول دار فتاته كل ليلة .. يكفن عينيه بالدموع وأصبح القمر فى سماء قريته أنيسه وجليسه .

فآثر العزلة وتحصن بها ومعها ذوى عوده .

وجف رونق الحياة فى جبينه .

وفى ليلة عرس حبيبته .. فوجئ أهل القرية بالفتى رضوان يسير خلف الهودج ..وهو يرسل أنغاما حزينة من ناى معه .
فهرولت اليه أمه . فزعه جزعه.. لتثنيه عن مراده ..فلم تستطع .
ومضى رضوان .. يتابع الركب ويناجيه بألحانه .

فألتف من حوله فتيان القرية .. وفتياتها ..ينشدون .. أغنيات آسية وتحول العرس الى نواح وبكاء .
قال العريس الذى يرفل فى فاخر الثياب :
- ما يفعله رضوان .. أمر مسف .. فالفتاه فتاتى .. وأنا أطلب منه أن يكف عن هذا الفعل المشين فأرتفعت الأرض صياحا .. ترفض مقولة شاب القرية المجاورة .. وران على المكان .. الغضب..المدمر هتكت العروس .. هودجها ثم قالت بنبرات تفيض حزنا :
- دعوا رضوان .. يا قوم .. دعوه .. ينشد .. دعوه يرسل من العذاب أنغامه .
بهت أهل القرية المجاورة .. من مقولة الفتاة .. فأعلنوا أحتجاجهم .. بفواحش الكلم .. وأنذروا بأوخم العواقب .
وماجت النفوس بالثورة .. وأرتفعت العصى معلنة الشر الأسود .
توسط العريس أهل قريته وقال فى مداهنة :
- ياأهل قريتى .. نحن ضيوف هنا .. فرفقا بنا
ثم سكت برهه ورنا الى رضوان وقال : يا قوم دعوا رضوان يفعل ما يريد .فأستمر العرس حزينا ..حتى مقر دار الزوجية وأنفض الناس .. وهم فى حزن قاتل وهبط الليل ..يدثر القرية بالسواد . وجلس الناس فى حلقات .. يتحاورون فيما حدث .

فجاءهم رضوان وقال فى وقار حزين :

- يأهل قريتى الأحباب .. لم أرد شرا بقريتى الخضراء .. لقد كنت أشعر بداء يفت فى عضد حبيبتى .. وكنت أدرك مدى الحزن الجاثم على صدرها ففعلت بفتاتى ما فعلت ..لكى تزف الفتاة الى حيث أرادوا لها .. والأن يارفاق الأحباب .. لن أفعل بعد اليوم فعلا يسئ إليكم.

ثم تركهم .. وتوارى كلمح البصر فى الظلمة الظلماء وفى الصباح فوجئ أهل القرية بخبر إختفاء رضوان .. فشمروا عن سواعدهم .. وجعلوا يبحثون عنه فى القرية كلها .. وفى القرى المجاورة.

فلم يعثروا له على أى أثر.

شاع خبر إختفاء رضوان .. وأصبح على كل لسان .. وأصاب أم رضوان الحزن والوجوم والهزيان . وأصبحت شبحا هزيلاً .. متفانيا .. وظلت على هذا الحال الى أن أتاها الأجل.

• • •

وفى القرية المجاورة .. تنافل القوم خبر إستحالة الحياة الزوجية بين الفتى والفتاة وأنثالت أخبارهم على رؤوس القوم..فتتابعت .. عنهما حكايات حزينة آسية يقولون .. إن الفتاة قد أنتابها الحزن العارم .. الفتاة تتعرض لنوبات المرض .. الزوجة الشابة تفترسها حالات غريبة ..انها تصوم الليل والنهار .. تزهد الحياة كلها ...

وأخيرا وبعد أن أستحالت حياتها مع زوجها رحلت الى أبيها وهى فى حالة يرثى لها . وظلت ملتومة الفؤاد .. غائبة النفس .. حتى فارقت الحياة هز المصاب القرية بأسرها .. فتوجعت قلوب العذارى .. وأصبحت سيرة الفتى رضوان على كل لسان .

قال بعض مثقفى القرية : لقد أخطأ الفتى رضوان .. لقد كال الحزن لثلاث أسر وأشاع الحزن فى قلوب الناس .

وقال آخرون : لقد أصاب الفتى رضوان .. وكل ماأتاه كان حقا .

ورفض البعض هذا المنطق قائلا : كان على رضوان أن يواجه الفعل برد فعل مضاد بأن يرفض الأمر الواقع .. ويتزوج الفتاة عنوة .

ثم أجاب السواد الأعظم من أهل القرية :

ـ مهلا يا قوم.. دعونا من كل هذا الهراء فهنا فى قريتنا العذراء تأتيها المشارب نقية النبع .. ومافعله رضوان .. كان صوابا للحق ويقينا للشرف .. ونموا فى الحب فهنا فى دورنا وحول سهولنا .. وفوق أرضنا .. حكايات منقوشة فى القلوب يتناقلها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيلا .

وأحتدم النقاش .. والجدل .. وتفلسف المتفلسفون وتبسط البسطاء .. ونهل السواد الأعظم من النبع أصل الحكاية .

ومضت السنون .. وأصبحت سيرة الفتى رضوان حلما فى القرية بأسرها .. وتناقل فتية القرية حكايته .. منهم من قال : نحن شاهدناه ينسل الى القرية ويدخل دورها .. ليخفف عن الناس أحزانهم .. ومنهم من أكد أنه قد وجده على جسر نهر القرية يغنى .. ويغنى .. ويرتل مع ضوء القمر أشجانه وتوهجت سيرة الفتى رضوان .. فى مخيلة أهل القرية .. وشاع عطرها وأمست حكايته حديثا متواصلا فى كل دار . فأصبحت حلما عذبا .. لكل الناس .. وأغنية شجية فى الأعراس .. وتعويذة حب لكل المحبين .

* * *

وفى ليلة قمراء شق صدر الفضاء ناى حزين ظل يرسل اللحن عذبا فى حنايا القلوب فهب الناس من مضاجعهم .. وأنطلقوا الى الخارج .. ثم أندفعوا جماعات .وجماعات وراحوا يبحثون عن مصدر اللحن القادم اليهم وهناك عند ساقية قديمة .. وتحت دغل عتيق شاهدوا عجوزا .. يبعث ألحانا شجية .. فتوافدوا .. صفوفا .. صفوفا .. وجعلوا يرهفون اليه السمع همس واحد منهم :

- أنه ناى .. رضوان .. هى ألحانه القديمة ورد شاب مبهور الكلمات

- ألحانه تأثر القلوب .

وأضاف آخر:

- وتذيب الحسرة من القلوب .

وأندفع رجل وقال متأثراً :

- أنه يتحرك من تحت الدغل .. يارفاق . العطر يشيع منه فى كل مكان .

وأردف شاب:

لحيته يكللها الشيب .. وجهه يشرق نورا جلبابه الفضفاض يزهو كوجه القمر

وصاحت النسوة المسنات فى حسرة :

- يافتيات القرية .. ونساءها .. الطاهرات كان رضوان فى الأمس الدابر.. يتناهز أعمارنا وكنا نشغف به حبا .. لأنه كان الحب كله.

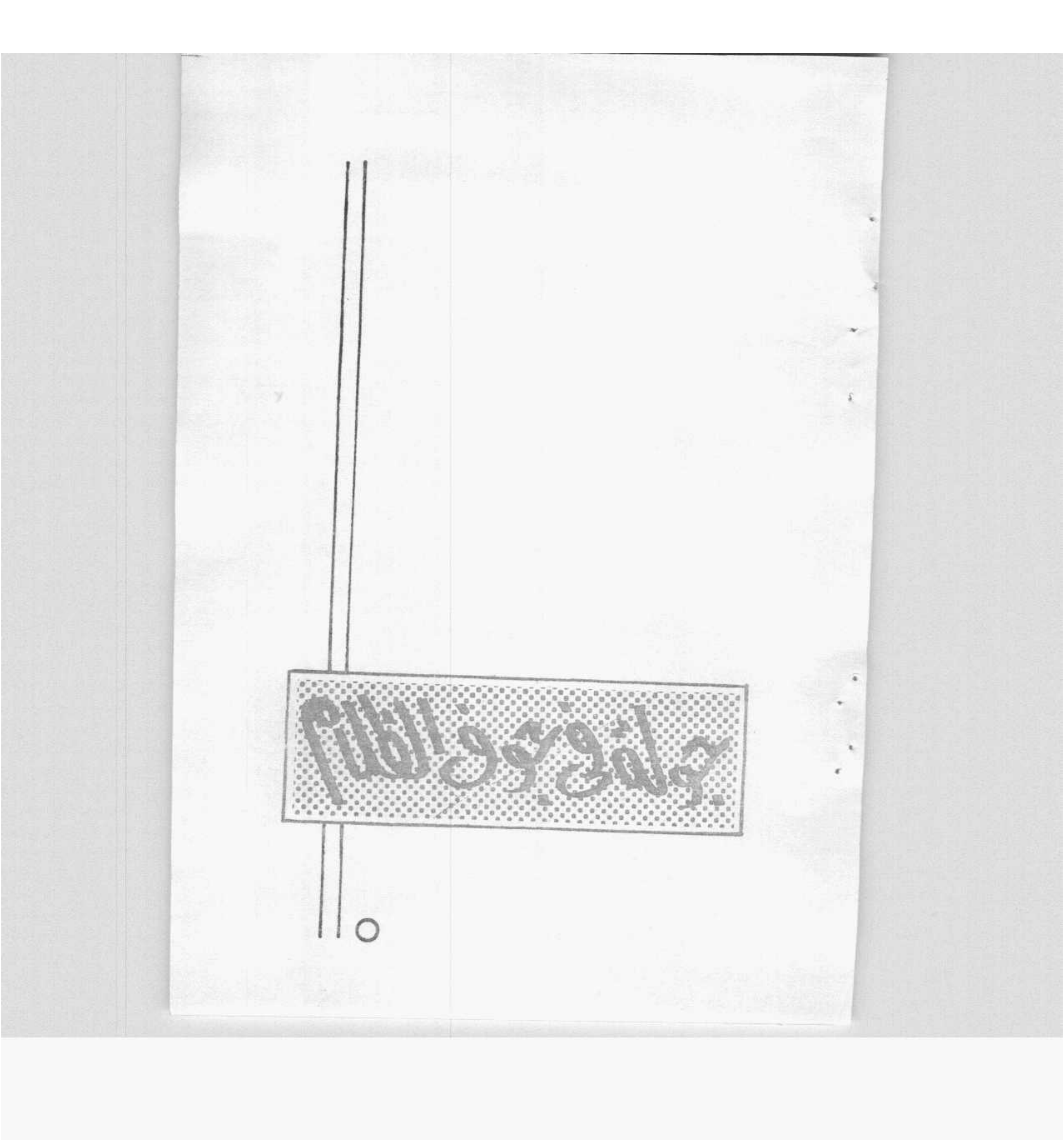
وقال شيخ فى لوعة وأسى:

- لقد أتانا رضوان ياقوم فى الليلة القمراء .

وسكت هنيهة ثم مضى يقول :

ـ ما أشبه الليلة بالبارحة .. كان فى الماضى عندما توارى عنا .. فى ليلة ظلماء ..
والليلة يأتينا فى الليلة القمراء ..ثم توارى رضوان عن أعين القوم .. فهتف الجميع
بلسان واحد .. وبصوت جلى النبرات:
متى يعود رضوان إلينا مرة ثانية يارفاق .؟؟
ترى هل..يعود..؟؟!!

الزقازيق: ١٩٧٥



توسدت فخذة .. وبسطت جسمها فوق الرمال الناعمة ... فسرت فى أوصاله رجفة حلوة لذيذة .. لقد أثارته بجسمها اللدن .. وشعرها المتهدل على وجهها البض .

فهمس فى أذنها بشفتين نهمين:

ـ لحمك الطرى .. يشعل النار فى جسدى .

اعترضت بصوت دافئ :

ـ دعك من هذا الأن .. يافتاى الأسمر ..

أمسك بخصرها وقال وهو يرشقها بنظرة جائعة :

ـ فتاك الأسمر يتحرق شوقا الى قبلة :

داعبت يدها الناعمة عنقه .. وأجابت بنغمة كلمس الحرير :

ـ لك ما تشتهى .. ولكن بعد أن نجوب هذه الصحراء .. وندور حول أهراماتها الرائعة حدث نفسه ضجرا (نجوب .. ونجول .. المرأة تريد أن تكرر على حديثا كثيرا ما سمعته .. وتظن أنها بذلك تأتينى بشئ جديد)

رمقته المرأة بنظرة دهشة .. وقالت :

ـ ماذا اصابك ..؟؟ أغضبت من قولى ..؟؟

أجاب والعصبية بادية فى كلماته :

ـ كنت أظن أنك ستعطينى .. وقتا أطيب من ذلك .

ضحكت بملئ فمها ثم قالت وهى تربت على كتفه :

ـ أتريد وقتا أطيب من ذلك . ! !

ثم رنت الى الاهرامات الشامخة .. ومضت تقول وعيناها متعلقتان بقمته :

- لقد كنت أبحث عن ذلك طيلة عمرى.

فرسم على وجهه إبتسامة مصطنعة وراح يجاريها الحوار قائلا :

- حقا ما تقولينه ياسيدتى..فالمكان هنارائع .. والاهرامات عظيمة .. والصحراء هادئة ساكنة .. وأنت فى كل هذا .. كغزال جميل شارد .. يبحث عن ألفة

سددت اليه نظرات ثاقبة .. وقالت فى لؤم :

- أنك تقصد بذلك وجودنا عند أهراماتكم .

قال ومسحة من اليأس قد لاحت فى عينيه:

- فسرى الأشياء كما يحلو لك .

ردت بجدية:

- لقد كرست حياتى كلها لدراسة آثار بلادكم وعرفت عنها الكثير.. فأشتقت لزيارة تلك الآثار .. والأن وبعد أن تحقق الحلم الذى راود خيالى كثيرا .. أشعر بأننى أسعد امرأة فى العالم .

قال وهو ينزع الكلمات من حلقه :

- لعلك بذلك تكونين قد وفقت فى رحلتك .

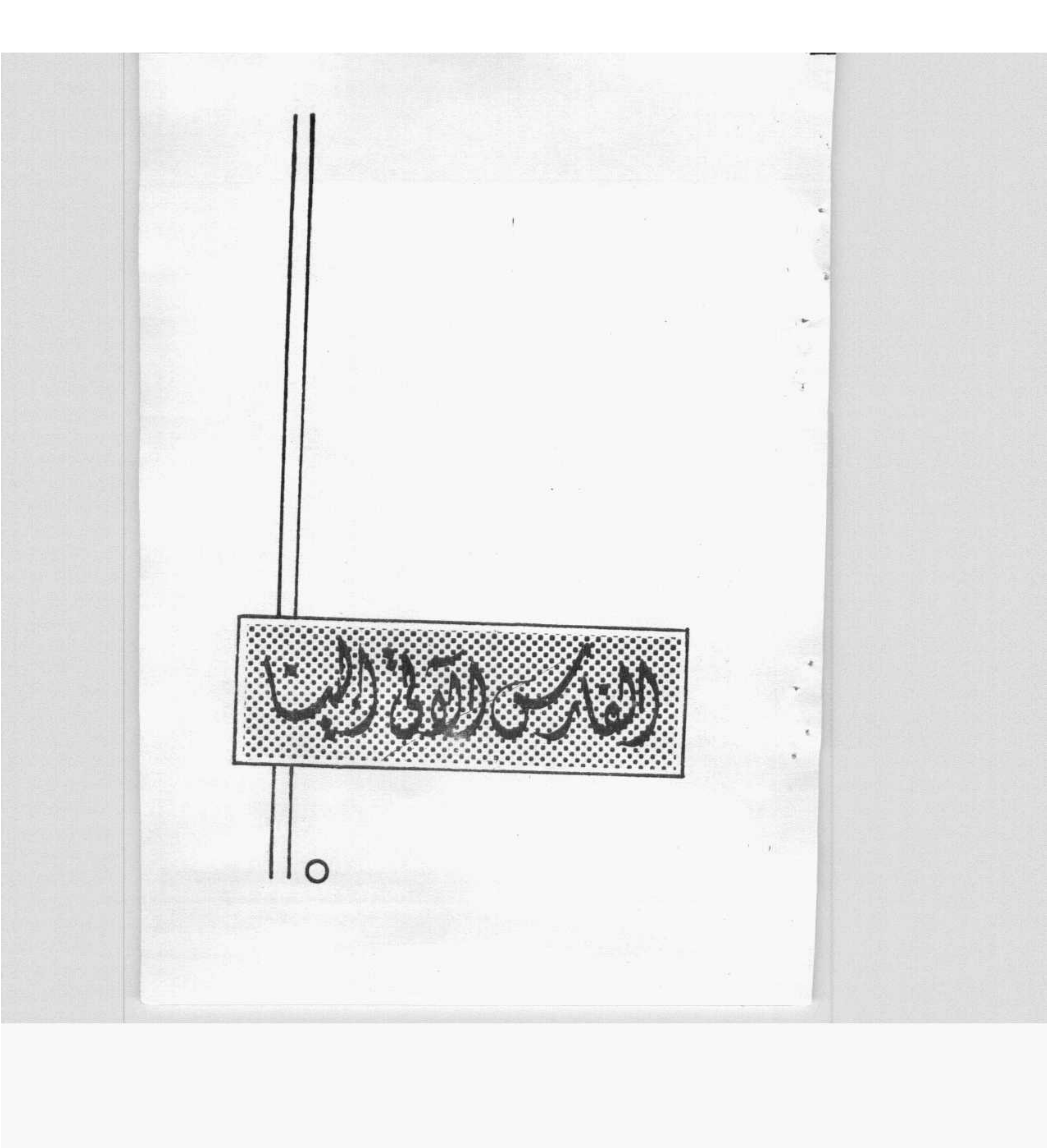
أجابت على الفور :

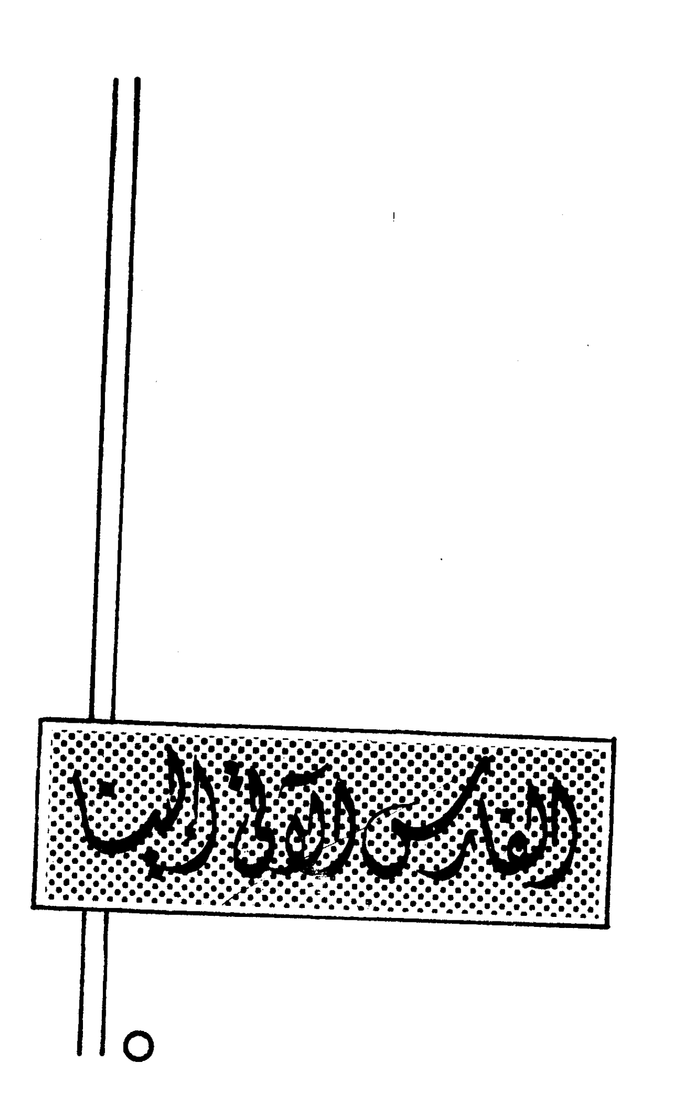
- أجل .

ثم جلست على الرمال .. وبسطت راحتيها .. وراحت تحملق فى القمر الراحل الى المغيب .

فقطع عليها صمتها وقال والرغبة المجنونة تتفجر فى صدره :

- سيحل علينا الآن الظلام .. ياملكة الليل .





صاح الشاب فرحا وهو يلوح بقبضة يده فى الفضاء :

ـ أنظروا يارفاق هاهو فارسنا يمتطى صهوه جواده الأشهب .

ـ وأردف عجوز أحنى الدهر هامته :

ـ أنه يقبل علينا شاهرا سيفة .

فألتصق الجميع ببعضهم البعض مستغيثين بالفارس .. ليصد عنهم الخطر المحدق بهم من كل صوب .

ثم نهضت من الجميع فتاة باهرة الحسن .. مسترسلة الشعر وواحت تقول

ـ إتجاهه ليس إلينا يارفاق . أنه يندفع إلى البحر الهائج .

فحدقت العيون طويلا فى البحر الثائر ثم علت الوجوه الحسرة .

كسر الوجوم الذى ران على الجميع صوت الشاب .يقول فى دهشة :

ـ يا إلهى ..!! لقد ولج الفارس فى البحر العاصف .. وأضاف العجوز وعيناه الكليلتان تشعان بالنور :

ـ يا قادر على كل شئ .. لقد ركب الفارس الموج وسيفه مازال مرفوعا الى السماء ثم

توارى الفارس فى اليم عن أعين القوم .

فندت عن الجميع أنات حزن جارف .

أرتقت الفتاة صخرة على الشاطئ .. ودعت القوم بصوت حاسم :

ـ هلموا .. إلى يارفاق .

فهب إليها الجمع الحاشد .. وجلسوا تحت سفح الصخرة مرتاعين من الخوف القادم .

تساءلت الفتاة ... والريح ترسل شعرها إلى الموج الصاخب :

- أين ذهب فارسنا ساعة الخطب الواقع علينا ..؟؟

فلم تنبس الشفاه بأى كلمة .

أردفت تقول وقد أتقدت عيناها بالغضب :

- تكلموا إفصحوا .. عما تبطنه سرائركم الموجعة .

أجاب الشاب بصوت متصدع :

- رابنا يرحب صوب ..

أسترسلت الفتاة تقول وقد أحتد صوتها

- لماذا لم تهبوا وراءه ..

رد العجوز بنبره مفعمه بالأسى :

- كنا نترقب لقياه ليبث فينا عقيدته .

مضت الفتاة تقول وقد تناثرت خصلة من شعرها الليلى على جبهتها الشماء .

- لقد أراكم عقيدته .. وهو يوغل غير هياب فى البحر العاتى .

فتساءل العجوز بدهشة :

- أى عقيدة تلك التى أستنفرها فينا .. ؟؟

أفصحت بكلمات حاسمة كالسيف القاطع .

- لقد نسيتم زمانا كنتم فيه فرسانه ... وأستأنستم لغدر القادم إليكم وصافحتم يده السوداء وظننتم أن رعى القطعان مع راعيها .. هو الخلاص والمفر ونسيتم أنه آتى إليكم ليعرف .. أحوال القطعان فيكم لينهش بأنياب الموت لحومكم .

ثم أستدارت .. وألقت بظهرها إليهم .. وصمتت وراحت تنثر على البحر نظرات ممتلئات بالحلم الغائب ..

فنهض الشاب من مكانة قلقا .. وجعل يتلمس بكفيه موطئ قدميها .. فوق الصخرة السمراء المغسولة بذبد البحر .. ثم قال مستجديا :

ـ أتيناك لتقولى لنا أين المفر ..

ردت بصوت خفيض وعيناها تعانقان الموج .

ـ أى نداء هذا الذى يأتينى كل يوم وليلة .

فتوسل الشاب قائلا ونظراته ملتصقات بشعرها السابح مع الريح المخضل برزاز الموج

ـ أين المفر .. !! ؟؟ نقولها بقلوب موجعة هدتها نوازل الأيام .. وضربات المحن

تساءلت وقد علا صوتها :

ـ من أين جئتم .

أجاب على التو :

ـ من كل حدب وصوب .. من الدانى والقاصى .

قالت بوجه يتألق نوراً .

ـ أتيتم من الأنحاء كلها ؟

أجاب مستبشرا .

ـ أجل .. من الأنحاء كلها .

مضت تقول وهى ترميه بسهام نظراتها :

ـ ومن أنت أيها الفتى .. العريض المنكبين المصقول الساعدين .. ؟؟

قال منشرح الصدر :

ـ من القوم الذين أحبوك الحب كله .

- وهل يتسع قلبك لحب الجميع ؟

رد وأمل الرجاء يغمر كيانه .

- أجل .

- وقادر على مجالدة الخطوب ..

- أرجوا من الله ذلك

ندت عنها صيحة فرح عارم .. ثم أشرأبت برأسها إلى القوم جميعهم وقالت

- ياأحفاد زمان عرف كيف يجود .. ويتفانى عند العطاء .. يافرسان من أدرك النور الذى يفيض على الوجود .

فألتفت من حولها الأعناق وأخلدت إلى صمت رهيف .. ثم مضت تقول والكلمات تسيل عذوبة من بين شفتيها الدافئتين :

فارسكم الذى رايتموه يركب البحر .. ويمتطى ذرا الموج .. أتاكم من ماضى مهيب أتاكم حينما الم بكم الخطب من كل حدب وصوب .

ليذكركم .. والدموع متحجرات فى مآقى العيون .

وسكتت هنيهة .. ثم أسترسلت تقول وقد بلغ بها التأثر مداه :

- أتاكم عندما طواكم .. ليل المعاصى .. عندما تدانيتم بترايتكم ورمى بعضكم البعض .. سهاما ورماحا .. فخارت قواكم .. وأضمحلت عزائمكم حتى دهمكم الخطب معجونا باللحم والدم .

واليوم أتاكم فارس اليم شاهرا سيفة .

ليقول لكم إياكم أن ينحر بعضكم البعض .

أرتفعوا عن الأهواء الرخيصة .. شمروا عن السواعد الفتية وأبذلوا الدم سخيا ..
وأركبوا الهول مهما طال .. وتجبر

فألتصق الجميع بالصخرة الشماء .. وغسل الرءوس رزاز الموج الهائج وتدافعت الى
الى الأسماع أصداء الموج تشيعه الريح نغما وشدوا.

فتساءل العجوز منتشيا :

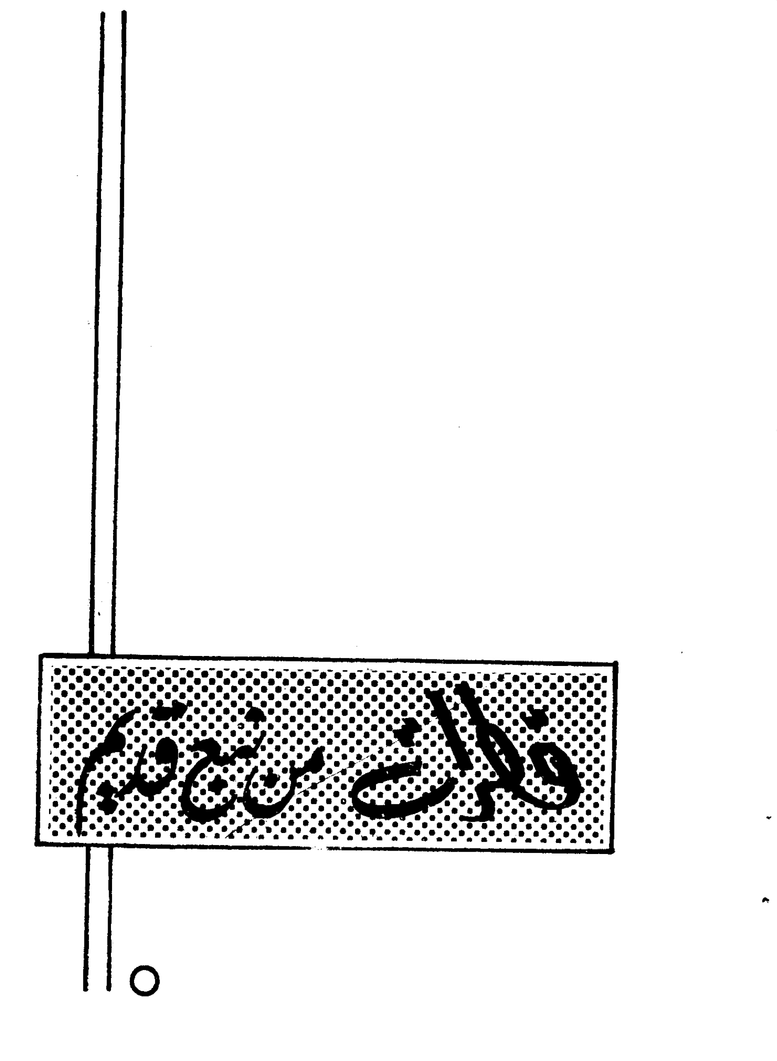
ـ وهل سيعود إلينا فارس ألبم .. من جديد .. ؟؟

ردت بيقين صادق :

ـ فارسكم بين حنايا القلوب .. روح تخفق بالحياة وقت الخطب الداهم .

ثم أشرقت الوجوه بشرا .. وأملا .. وأنفض القوم عنها فرحين مسرورين وهى
مازالت فوق الصخرة الشماء .. ترنو بعينين لامعتين إلى البحر الثائر.

الرياض : ١٠ـ٤ـ١٩٧٩


قطرات من نبع قديم

تدافعت أمامنا قطعان الغنم إلى سفح الجبل اللامع بشروق الشمس وراحت تثغو ويشد ذكورها إناثها إلى أبعاد أعمق .. وأخذت بدوية حسناء تهش بعصاها جملان القطيع المتخلف . فأستيقظ الحلم الأزرق فى رأسى ورقص فى مخيلتى باهرا رائعا .
قلت وأنا أمد الطرف إلى بساط الخضرة من أمامى :
ـ ألم يحن بعد وقت الرحيل إلى وادى ليلى ..؟
أجاب صديقى المصرى ضاحكا :
ـ سنرحل فى الحال .
ثم قادنى إلى سيارته وأندفعت بنا السيارة تشق الطريق بسرعة .
ـ قال صديقى المصرى وهو يشير باصبعة من شباك السيارة .
ـ أنظر هذه حوطة بنى تميم لقد سميت بالحوطه لأن الجبال تحيطها من كل جانب قلت فى نشوة :
ـ الجبال تحضن واديها برفق .
قال مقهقها :
ـ إنك ماتزال تعيش بقلب شاعر .
أمتد سوق الحوطة ثريا فى عطائه .. الباعة اليمنيون يفرشون الأرض بأنواع شتى من الخضروات والفاكهه والتمر . ثم طوينا الحوطة ببساتين نخيلها وكرومها وأنبسطت الصحراء شاسعة مترامية . قلت لنفسى «كم هى رائعة تلك الرحلة الشاقة لقد أتيت من الرياض وجبت هذه الأنحاء كلها من أجل وادى ليلى .. لأملأ صدرى بشذى عطر تاريخها الفواح ....

وأشدو بملحمة جبها الخالد التى مازالت تعيش حتى الآن ندية عذبة فى كل القلوب
ومضيت أخاطب نفسى وأنا أتأمل مساحات الرمال الممتدة إلى منتهى الأفق .
لاشك أن قيسا هذا المجنون قد جاب كل هذه الصحراء وقضى حياته بأسرها يتنفسها شعرا وحبا وهياما بليلى .
دفعنى صديقى بقبضة يده قائلا :

- أنظر أمامك

رأيت على مرمى البصر نسجا كونيا أخضر .. يخطو إلينا برفق .. توقفنا عند أول منعطف لهذا الوادى .. نزلنا وأنشأ صديقى يفحص سيارته وأفترشت الرمال تحت ظل نخلة باسقة الطول وارفة الظل .. تتدلى من نحوها عناقيد التمر وجعلت أجمل عينى بينابيع الحياة من حولى فأنشرح صدرى وعلا السرور وجهى .. وأنساب لحن عذب فى مسمعى ..
ثم غرقت فى أحلامى .
صحوت من تأملاتى على وقع أقدام تطرق أذنى .. تقدم نحوى عجوز يحمل سلة فى يده .. وقف أمامى أفتر ثغرهعن إبتسامة صادقة وتساءل :

- أغريب أنت عن ديارنا .. ؟؟

قلت والطمأنينة تسرى فى كيانى كله .

- أجل

جلس بجوارى ومد يدة المرتجفة إلى جوف السلة وأخرج منها بضع حبات من التمر وقال

- تمرنا معقود بالسكر

شكرته من كل قلبى .. أخذت منه حبات التمر وأكلت واحده ثم قلت

ـ بالفعل تمر لامثيل له .

أنبسط وجهه سروراً وقال :

ـ بستان نخيلى من عمر أجدادى .

قلت للشيخ وأنا أملأ عينى من مساحات الخضرة التى حولى :

ـ شئ طيب أن يحافظ الإنسان على عمل أجداده .

أرضته كلماتى .. شكرنى بسعادة غامرة وودعنى وأنصرف طفقت أختلس النظر يمنه ويسرة . لمحت بدوية حسناء تياهه الخطى ويشيع من أعطافها أريج طيب رمقتنى المرأة بنظرة ساحرة من خلف خمارها الموشى بحبات الخرز . هممت أن أسابق الريح لألحق بها .. ولكنها أندست فى لمح البصر داخل غابة النخيل .

صحا الماضى التليد فى نفسى بكل ما فيه من سحر .. توهج بأجنحة من نور أمام عينى .. قيس هذا المجنون كان له الحق فى ذاك الجنون سحرته جارحات العيون ودافئات القلوب .. لقد تدفقت فى شرايين قلبه دماء قبيلة بنى عذرة بحبها العارم دفقات حارة فأستسلم لهذا الحب .. إلى أن سقط شهيدا لليلى تلك العذراء الرقيقة الرهيفة المعذبة .

توقفت عن حلمى الوردى على يد قويه تهز جسمى كله :

ـ يارجل لقد تصدع صوتى بالنداء عليك .

لم ينتظر صديقى إجابتى أخذنى من يدى وقادنى إلى سيارته .

أخذت السيارة تشق عباب الطريق الصحراوى قال صديقى وهو يدفع سيارته بأقصى سرعة .

- لن أتركك تستسلم لأحلامك .

تساءلت فى دهشة :

- أغضبتك أحلامى إلى هذا الحد ؟

قال بحدة :

- حتى لاتفكر الا فى الطريق .

قلت ضاحكا :

- بالفعل أنا لاأفكر إلا فى الطريق .. طريق وادى ليلى .. وقيسها المجنون

قال بدون أكتراث :

- لاتهمنى كل هذه الثرثرة .

قلت فى غضب :

- إنك تعيش ليومك قط .

رد ساخراً :

- والذى يطلب أكثر من ذلك يكون مجنونا .

قطعت حديثى معه ولذت بالصمت .

تلوت السيارة فوق الطريق الثعبانى .. وراحت ترتفع وتنخفض وتكشف لنا من حين لآخر وعوره الطريق وقسوته .. وأمتداد الصحراء ..... ثم هبت عاصفة رملية أرتفعت على أثرها دوامات الرمال وظلت تعصف نوافذ السيارة بحبات الرمال .. وماأن هدأت وأستكانت وعادت الصحراء إلى صمتها وسكونها حتى قلت لصديقى ضاحكا :

- غضبك على قيس وليلى جلب علينا كل هذه المكاره .

رد ساخرا :

- نسأل الله أن يقينا غضبها .

ثم هدأ صديقى من سرعة سيارته .. وأخذ يتفحص الطريق بحذر ... عاودتنى أحلامى .. شطحت .. سرحت .. تخيلت قيسا وهو فى محنته يهيم فى الصحراء الغاضبة الشاردة الثائرة تعصف به الأنواء .. وتجلد وجهه ذيول الرمال العاصفة .. وهو يقول الشعر آسياً .. مقتولا بالحب .

ورحت أطلق فكرى فى أغوار القرون .

مالت الشمس للمغيب وتورد قرصها فى بحر الرمال وأمسى الطريق أكثر سكونا وأعظم رهبة .

قال صديقى :

- أقرأ اللافته القادمة .

قرأتها وكم كانت فرحتى بها عظيمة فالافته تدلنا على وادى ليلى تدافع الحلم الأزرق فى مخيلتى تألق بريقة .. لمعت صورته . سأهبط أذن وادى ليلى .. وسأجوب ربوعه .. سأرتاد معالمه .. سأعيش مع قصة شهيد الحب والعذاب .. سأرى وادى المجنون .. سأقرأ هذا التاريخ العبق ورحت أوغل فى الأحلام الوردية . وعن قرب لاح أمامنا طريق وادى ليلى وما أن أقترنا منه حتى وجدناه يموج بالحركة ويكتظ بالزحام .. وسيارات الشرطة تصطف على جانبية وبعضها يسد مدخل الطريق إلى وادى ليلى

وما أن دخلنا دائرة هذا النطاق... حتى تقدم إلى سيارتنا ثلاثة رجال من الشرطة السعودية .. وراحوا يفتشون سيارتنا باهتمام بالغ .. ثم أخذوا بطاقتى إقامتنا

وفحصوها بدقة .. وبعد أن أتمو مهمتهم أمرونا بالتزام جانب الطريق .. ثم تركونا وأنصرفوا .

علت الدهشة وجهي ورحت أتحرى الأمر من أحد المصريين الواقفين في هذا الحشد قلت :

- ما الخبر؟؟

همس في أذني بحذر :

- أنهم يبحثون عن مرتكب جريمة قتل .

وبلع الرجل ريقة ومضى يقول في خوف :

- شاب خطف فتاة بدوية وبعد أن هتك عرضها ذبحها وألقى بجثتها في بستان النخيل .

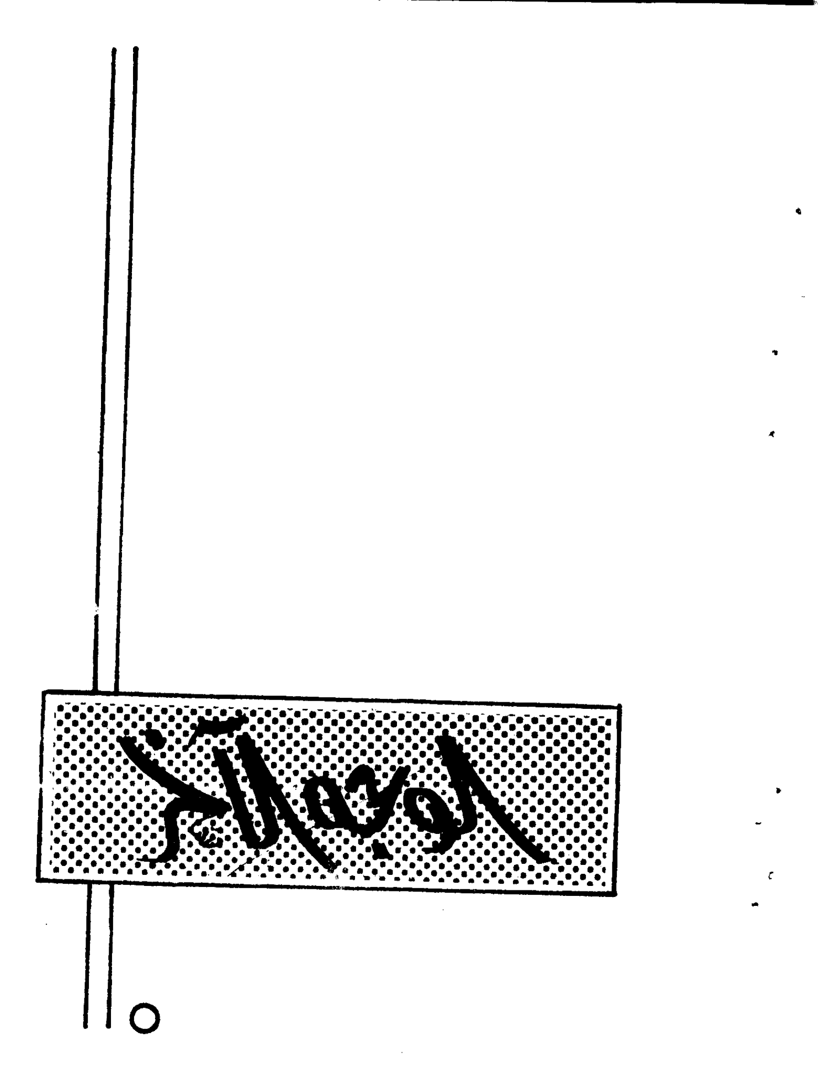
سألت بصوت متصدع :

- أين وقعت هذه الجريمة .

أجاب الرجل والكلمات ترتجف بين شفتيه : .

- في وادي ليلى ...

الرياض : ١٩٧٩


الوجه الآخر

تراخى فى مقعده .. وأرهف السمع إلى أغنية حزينة .. أخذ يترنم بها صعيدى تحت شراع مركبه .. الملتصق بجدار الشاطئ . أثرته كلمات الحب والفراق والغربة . أنحدرت الدموع على وجه المجهد الممتلئ بالمتاعب ثم تتابعت فى رأسه سلسلة من الأحداث والوقائع ..تنم كلها عن هزائم وطموحات منكسرة .

صحا من شروده على يد تهز كتفه بعنف .

تعلقت عيناه بها .. وقد تألقت وتعطرات وأنسدلت خصلة من شعرها على وجه متكبر : أنتصب واقفا حياها ودعاها للجلوس .. جلست.

ووضعت ساقا على ساق ثم قالت وظل إبتسامة متغطرسة على شفتيها :

- فيم تفكر ..؟؟

قال بصوت خافت:

- لا شئ.

سكتت برهة ثم قالت :

- جئت لنضع الأمور فى نصابها الصحيح .

رمقها بنظرة خاطفة ثم قال :

- أى أمور تقصدين ..؟؟

ردت بحدة:

- دائما..تنسى الأشياء الهامة بسهولة .

أستدرك قائلا:

- أعرفها .. ولكن ربما يكون قد جد فى الأمر جديد .

بادرته :

- بل قل أشياء ..وأشياء

- إعرضى ماجد فيها .

وقبل أن تنبس بأى كلمة هب واقفا على إثر صيحة من تحت جدار الشاطئ أطلقها ملا ح لرفاقه .. يدعوهم بفك قيود المركب .. تعالت أصوات عذبة .. تنشد الرحيل .

ثم فارق البحارة مرساهم وأنساب المركب على صفحة المياة الهادئة .. شعر بقلبه يغوص فى أعماقه .. كأنه يفقد شيئاً عزيزاً على نفسه .

قالت وهى تدق المنضدة بكوب الماء :

- لم هذا الوجوم ..؟؟

رنا إليها طويلا .. ثم قال بصوت متصدع :

- فلنبدأ الموضوع .
- أنت تعرفه كله ..ومع ذلك سوف أكرر عليك ما قلته .

ومضت تقول وهى ترفع خصلة من شعرها قد تناثرت على وجهها .

- حدد موقفك المالى .
- سوف أعرضه عليك.

قالت بسخرية:

- موقفك المالى لا يبشر بالخير

أعترض غاضبا:

- كل شئ قابل للحل ..

قالت بعدم اكتراث..

- ليس كل شئ ..

تساءل بصوت منكسر:

ـ ما هو المطلوب ..؟؟

ـ تحدد الموعد فى أسرع وقت ..

تنهد بمرارة ثم قال :

ـ متى تريدين ذلك..؟؟

ـ غداً ..!! غاصت الكلمة كخنجر مسموم النصل فى صدره ثم سادهما الصمت .. وراحت خلاله ترتشف عصير الليمون قطرة .. قطرة.وما أن أتت على نصف الكوب حتى نهضت واقفة .

وقالت وهى ترمى نظرة خاطفة على ساعتها الذهبية :

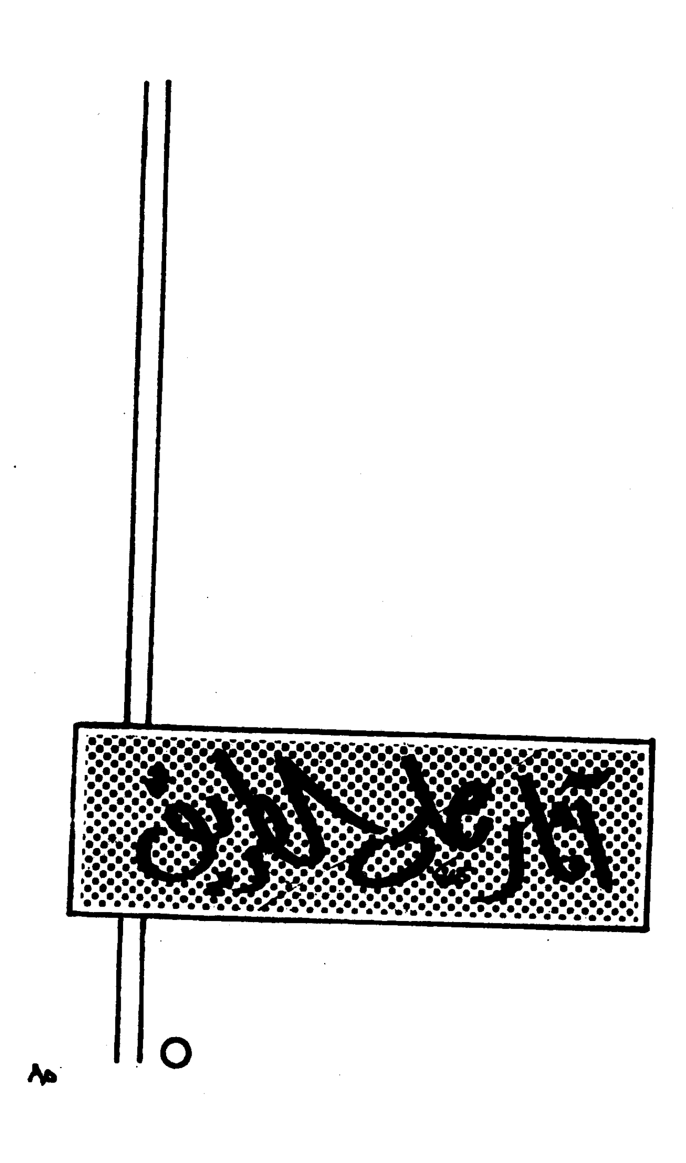
ـ أريد الإنصراف.

ثم غادرا المقصف .. وأستقلا تاكسى ..حتى منزلها .. وهناك .. تركها ثم أتجه ناحية النيل .. وعند مجمع مجرى العيون وقف يتأمل تدفق الموج بقوة .. وانطلاقه بصخب .. ثم إنسيابه برفق .

وراح يتجول الى أن ساقته قدماه الى منتزه شعبى . هائج..مائج .. بالنسوة والرجال والأطفال ..منهم من يفترش الحشائش . ومنهم من يجلسون حول مائدة طعام ... زادهم أقراص الطعمية وقرون الفلفل المخلل . فطفق يتأمل الرجال والنساء والفتية والفتيات والصبية والصبيات ..تمنى أن يشاركهم أفراحهم فهم أن يمسك بيد شاب قد ألتف عوده داخل جلباب أبيض فضفاض .. ليفضى اليه بأثقال صدره .. غير أن الشاب كان على موعد مع فتاة هيفاء .. بيضاء .. مشرقة الوجه حالمة النظرات ..فأندفع الى الجموع .. التى راحت تغزل الحب فى ليل ممتلئ بالحياة .

وراح يحلم مع طيور الليل
بأنفاس فجر جديد.

ديسمبر ١٩٨٠


آثار علي الطنطاوي

صاح سائق السيارة البدوى فى صوت حاد النبرات :

ـ سنعبر الآن الطريق الصعب .

ألقيت نظرة من خلف نافذة السيارة .. فرأيت الصحراء الشاسعه قد أنحدرت إلى واد سحيق .

قال سعودى بجوارى :

ـ نسمية طريق الموت :

وأضاف آخر :

ـ وهو أكثر الطرق حوادث فى بلادنا .

فانتقض قلبى ذعرا .. وترقبت أى أقدار قد تقع لنا

فأنطلق السائق البدوى بسيارته .. جسورا لا يهاب وعورة الطريق وأخذت السيارة تتسلل تلالا شاهقة .. وتغوص وهادا عميقة .. والسائق خلال ذلك يغنى .. ويترى النكات تباعا .. والكل فى السيارة مشدود بكل أعصابه إلى الطريق .

قال رجل لاح على وجهه الخوف .

ـ أنه سائق متهور .

وأضاف آخر :

وكأن أرواحنا تحت رحمته

ركب العناد رأس السائق البدوى .. فأطلق العنان لسيارته .. فأهتزت الرؤوس وزاغت العيون .. ثم ران على الجميع خوف صامت .

طفقت السيارة تطوى الطريق .. ترتفع وتنخفض .. تتمايل .. تتراقص .. حتى

أنبسط الطريق أمامنا رحبا شاسعا .

فعاد السائق البدوى إلى مزاجه الضاحك .. فجعل يقرضنا شعرا نبيطا رائعا .. يروى فيه صورا من الماضى .. وحكايات حب .. وملاحم بطولة .. كلها نسيج للحياة البدوية الصادقة .

- تساءلت متلهفا :

- كم يبقى على مدينة عنيزة .. ؟؟

أجاب سعودى :

- نحن نقترب منها :

أنسابت فرحة فى صدرى .. مشدودة بحلم عذب .. ولاأدرى أى شعور دافق هذا الذى يربطنى بهذه المدينةأسمها منقوش فى رأسى .. وحنينى لرؤياها صورة لم تبرح عينى أنتبهت على صوت السائق وهو يقول :

- نحن الآن على مشارف عنيزة .. عروس نجد أحتوتنا وديان مبسوطة بالخضرة ومفروشة بتيجان أشجار النخيل .. وعناقيد شجيرات الكروم وعن قرب ترامت إلى آذاننا أصوات قطعان الغنم .. وهى ترعى الكلأ

وشدت رءوسنا إلى نوافذ السيارة مأذن بيضاء

غمرتنى مشاعر غضة وتراقص الحلم فى مخيلتى .. ولمع أمامى نورا باهرا . ثم كانت المدينه .. فنزلنا من السيارة .. وأتجهنا إلى سوقها المكتظ بالناس بهرتنا بدوياتها الحسناوات وهن يطلقن نظراتهن من خلف خمرهن .. كأنهن أميرات الأساطير القديمة .. وأنسنا إلى شيوخها وهم بلحاهم البيضاء كأنهم حكماء العهود المجيدة كل ما أشاهده مرسوم فى صدرى منذ سنين طويلة ثم علقت عيناى بشيخ مهيب

تأمله طويلاً فبتسم الشيخ .. إبتسامة وضيئة .. فتقدم نحوى وسألنى :
أمصرى أنت ..؟؟
شعرت بالألفة فأجبت :
- أجل.
قال بود :
- من أى البلاد فى مصر؟؟
سكتت برهة .. ثم قلت :
- من الشرقية
مضى الشيخ يقول رقد أتسعت عيناه بالفرحة :
- ومن أى القرى هناك ..؟؟
علت الدهشة وجهى جعلت أتردد فى الإجابة :
فكرر الشيخ قوله :
فقلت بصوت خافت :
- من قرية ....
وما أن ذكرت أسم قريتى حتى شملت الفرحة كل سرائر الشيخ وعمه سرور بالغ فأقترب منى وقال بتأثر شديد :
- لقد سافرت إلى قريتكم منذ أزمان بعيدة وعشت فيها سنوات جميلة ثم تألق وجهه إشراقا .. وأنشأ الشيخ المهيب .. يحكى .. ويقص .. أحاديث عذبة سعنية .. وأنا أرهف إليه السمع وكنت أشعر فى كلماته برائحة الماضى وبعبق السنين .
ثم حان موعد الرحيل .. فودعت الشيخ .
ومع فراقه أكتملت صورة المدينه كلها فى رأسى .

وهناك والسيارة تطوى الطريق .. تراءت الأشياء جميعها فى عينى حلوة رائعة .. خضراء كحقول أرضى زرقاء كسماء وطنى .

الرياض : ١٩٨١